ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1054 - الجمعة 15 ذو الحجة 1424 هـ - الموافق 6 فبراير 2004

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

معاني البسملة

التضامن في الإسلام

أسباب الدخول إلى الجنة

حماية البيئة واجب إسلامي

الاسطرلاب الرودانـي

أوقاف الكراسي العلمية

الإسلام دين الرحمة

لو درس الباحثون من مختلف الأجناس والديانات الإسلام من ينابيعه الصافية، وفهموا مضامين رسالته السمحة السامية، لتسابقوا إليه أفرادا وجماعات لما ينطوي عليه توجيهه من مصلحة الإنسانية جمعاء في عاجلها وآجلها، ولما يحققه لها من راحة نفسية وسعادة أبدية في الدارين، ولما يوجه إليه ديننا الحنيف من الرحمة بعباد الله لأنه عليه الصلاة والسلام أرسل للناس كافة رحمة مهداة، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال(ص): (إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) وبين الله سبحانه في كتابه العزيز أنه عليه الصلاة والسلام بالمومنين رؤوف رحيم حين قال في كتابه العزيز: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم).

فهو عليه الصلاة والسلام يوجه الدعاة إلى أن يكونوا رحماء بعباد الله اقتداء به صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما، كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها).

لست أدري كيف ينعث بعض الجاهلين لحقائق الإسلام السامية هذا الدين بالتحجر والتعصب افتراء عليه وكذبا وهو دين التآخي والرحمة والتعايش؟!

ويبين كتاب الله بكل وضوح سعة رحمة الله قال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء) فهذا العفو والصفح الجميل الذي ذكر الله في كتابه العزيز أكبر ضمانة للمذنب وأرجى ما يتخيله العاصي من تجاوز عن سيئاته قال الله تعالى في كتابه العزيز:(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) هذا هو الصفح في أسمى معانيه، فالقرآن بقدر ما هو منذر من عذاب الله فهو مبشر بعفوه ورحمته ولطفه وثوابه، قال تعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) سورة المائدة، الآية:6. وقال تعالى أيضا في سورة آل عمران: (ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد).

فلنتأمل بتدبر ما يدعونا إليه الإسلام فإذا نحن فهمناه على حقيقته فسنرتاح له وتطمئن اليه قلوبنا ونوجه البشرية إليه، وإذا قدر الله أن اهتدت لسبيله المستقيم وجعلته نبراسا لها يضيء لها الطريق الذي يمكن أن تسلكه فآنذاك ستنعم ولاشك بسعادة داري الدنيا والآخرة، ولا يمكن الوصول إلى هذا المقام إلا بالعلم وتربية النفس وترويضها على مراقبة ربها في سرها وعلانيتها وخشيتها من بارئها: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فعلينا أن نفهم الإسلام على حقيقته السامية وتوجهاته الراقية ومغازيه المثالية قال شيخ الإسلام الإمام الغزالي: (العالم أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه عن غيره).

جعلنا الله ممن نور بصره وبصيرته ووقانا بفضله وجوده وكرمه: (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) فكم من مهرج ومنافق حارب الإسلام بلسانه وقلمه ودعايته المغرضة التي لا تستند فيما تبثه عن الإسلام من عداء على شيء.

إن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الإنسانية لما فيه تهذيب نفوسها وتقدم أفرادها وجماعاتها لمقام الرقي والكمال ولقد صدق القائل في حقه عليه الصلاة والسلام:

رحمة كله وحزم وعزم
ووقار وعفة وحياء
لا تحل البأساء منه عرى الصبر
ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فما يخطر السوء
على قلبه ولا الفحشاء

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

فدين الإسلام دين رحمة.

بقلم النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب
الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل مع الجار

نتابع هذه المسيرة في درب العدل والعدالة في التوجيه الديني على صفحات هذه الجريدة محاولة منا في غرس نبتة خضراء في مجتمعنا المغربي الإسلامي، لعل أحد من رجالنا ونسائنا وشبابنا وشاباتنا يغذي بجزء منها عقله الجائع إلى هذا النوع من الثقافة الإسلامية الإنسانية التي تحدد معالم الطريق الصحيح إلى فضاء جديد من الحضارة الإسلامية القائمة على العلم والتربية الأخلاقية ونشر مصابيح العدل والمساواة في كل الطرق التي تؤدي إلى ما يرضي الله عز وجل ويرفعها درجة في سلم الرقي والازدهار.

وعلاقة الجوار وهي من العلاقات الإنسانية الاجتماعية التي تزيد في ربط أواصر المحبة والود والرحمة، وقد أعطاها الإسلام ماتستحقه من المكانة وماتؤديه من دور لايستغني عنه من ينشد الاطمئنان والسكينة في حياته الدنيوية، فهذا كتاب الله عز وجل يأمر المسلم بالإحسان إلى الجار ويجعله في مرتبة مندمجة مع الأمر بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به، والأمر بالإحسان إلى الوالدين وإلى ذوي القربى واليتامى والمساكين والجار وابن السبيل ومن نستعمله من الخدم، فقال تعالى "واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم"(الآية:63 من سورة النساء).

قال ابن عباس: 'الجار ذي القربى' هو الجار الذي يكون لك معه قرابة رحم، 'والجار الجنبُ' هو الذي يكون له الجوار فقط، وقال بعض المفسرين: الجار القريب هو المسلم، والجار الجنب غير المسلم، وقال مجاهد: الجار الجنب هو الرفيق في السفر.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين للمسلمين درجة الجوار وموقعها في التربية الإسلامية.

الأستاذ أحمد أفزاز
النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يتحدث عن مقياس النيل بالجيزة

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ بعدما حدثنا في الحلقة الماضية عن القرافة وروضاتها، وعن بعض العلماء الساكنين بها، ينقلنا التجيبي إلى مشاهدات أخرى، حيث يقوم بجولات استطلاعية من حين لآخر يستريح فيها من عناء الدرس، والجلوس لساعات طويلة أمام الشيوخ وهو في جولاته هذه يسجل ما رآه من معالم عمرانية، وآثار يشاهدها لأول مرة، وهي في نظره مشاهد عجيبة جديرة بالتسجيل وبأن يطلع عليها قارئ رحلته التي يعتني بتدوينها، ويهتم بها غاية الاهتمام، ويقول عن الجيزة: "انتهى ذكر القرافة وماتيسر تقييده من مشاهدها الشهيرة المباركة، ثم عبرنا النيل ودخلنا قرية الجيزة في العشر الوسط من جمادى الأولى المذكورة . 696هـ . وهي قرية كبيرة عامرة آهلة، وبها أسواق نافقة، وارزاق كثيرة، وسوقها الأعظم يوم الأحد، الجزيرة الجليلة المشرفة على النيل حيث يتنزه المصريون، وهي من أعجب مايرى، ويتحدث به، وبين هذه الجزيرة وبين مصر خليج من النيل يمتد بطول الجزيرة المذكورة نحو ميل، ولامخرج له، وفيها مبان حسنة، وجامع حسن، ويتصل بهذا الجامع المقياس، مقياس النيل، الذي هو احد العجائب الهندسية الذي يعتبر فيه مدا لنيل زمن فيضه، وحسره عند انتهائه، وهو عمود رخام متمن الشكل، مفصل على اثنين وعشرين ذراعا، وكل ذراع منها قد جزئ على اربعة وعشرين جزء متساوية، يعرفونها بالأصابع، فإذا بلغ مد النيل ست عشرة ذراعا من تلك الأذرع استحق السلطان عندهم خراجه، واعطى البشائر على ذلك للذى يراعي زيادة النيل، وحسره في العمود المذكور..."

الحقيقة أن التجيبي انتقل بالقارئ من الحديث عن الدروس الحديثية وأسانيدها وذكر أسماء رواتها، وتعدد طرقها، ومارافق ذلك من طرف أدبية، ومصطلحات حديثية، ومن التعبير عن فرحه بالأسانيد العالية... انتقل بالقارئ من جو الدرس والتدريس وتحلق الطلبة حول الشيوخ، إلى جو آخر من الثقافة التي يستفيد منها المتخصص وغير المتخصص فيحدثنا عن مقياس النيل الرخامي، وعن طوله، واجزائه، وكيفية الاستفادة منه، بل أكثر من ذلك يذكر علاقة هذا المقياس للنيل بأداء الخراج وبما يأخذه السلطان في السنوات الخصبة، ويتحدث فيما بعد عن السنوات العجاف، وعن أمانة المشرف على مقياس النيل، وكيف كان يختار من الأمناء الموثوق بهم... وعن ذلك يقول: " ويختار السلطان للنظر في ذلك، من يثق هو والناس بدينه وأمانته وصدقه، فيتفقد النظر في ذلك، ويعرف السلطان في كل يوم بمقدار مايزيد النيل في أيام الزيادة، وبمقدار مايحسر في أيام النقص، وعند إخباره بما يكون من ذلك يأمر من ينادي في الناس ويخبرهم بما كان من ذلك، ولايخفي عليهم من ذلك شيئا، ولايخاطبهم في ذلك إلا بالحق والصدق، ولو أراد السلطان منه أن يخبر الناس بخلاف الواقع من ذلك ماوافقه عليه وهذه عادة مستمرة على مر السنين..."

وماذكر التجيبي هنا عن مبلغ أهمية النيل في حياة المصريين يذكر بمصداقية قول المؤرخ اليوناني الكبير (هيرودون):

"مصر هبة النيل" ويزيد التجيبي قائلا: "وبلغني أن السلطان المقلب بالعادل (كتبغا)(1) المنصوري لما احتبس النيل في مدته، ووقع بأرضه الوباء، وغلاء السعر، ولم يستوف الخراج وتشاءم الناس بأيامه، وخاف من خلعهم له، أمر الناظر في النيل أن يأمر مناديه، ينادي في الناس، بأن النيل قد زاد إلى حد يرضونه ويسرون به، فلم يفعل ذلك، وقال له: أتريد أن أضر الناس، واغرربهم وأخونهم، وأنا مؤتمن ، والله لافعلت هذا أبدا، أو كما قال، وأول مايمد النيل في شهر يونيه العجمي، ومعظم انتهائه في اغشت العجمي، وآخره في شهر اكتوبر العجمي، ويذكرون أنه يكون لكل ذراع مائة ألف دينار خراجا، فإن زاد ذراعا زاد في الخراج مائة ألف بما يروى من الأعلى، وكذلك يكون إلى أن ينتهي إلى تسع عشرة ذراعا، فإن زاد عليها ذراعا نقص الخراج مائة ألف دينار، بما ينجر من البطون والأسافل، وكان مبلغ انتهائه في ست وتسعين المذكورة، ثماني عشرة ذراعا كاملة، وأخذ من الذراع التاسع عشرة أصبعين، واستبشر الناس بذلك، وسروا به، ولله الحمد والشكر"

التجيبي يصف كيفية أداء الخراج، ومايؤديه الفلاحون للدولة، يصف ذلك وصفا دقيقا، لينقل للقارئ الصورة كاملة، ثم يقول:

"والذراع المعتبرة في القياس المذكور هي المعروفة عند موثقي الأندلس (بذراع محمد بن الفرج)، وكان قد جلبها من هناك، قال الشيخ الفقيه المشاور أبو عبد الله محمد بن قاسم بن أبي حمرا، في كتاب المقنع من تأليفه، قوله، يعني كاتب الوثيقة: بذراع محمد بن الفرج ليس هي ذراعه، وإنما جلبها من مصر من مقياس خروج النيل، وهو قديم من زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان الناس يتبايعون بالأندلس بذراع يشترطونها، فلما حج محمد بن الفرج، وكان الحج يومئذ عسيرا(2) أتى بقيس ذراع النيل المتفق عليها من صدر الاسلام، فامتثلها الناس، ولم يختلفوا بعد ذلك، ورسموها بسارية في جامع قرطبة، فنسبت الذراع إليه، لإدخاله إياها الأندلس، والله أعلم".

أما محمد بن الفرج فقد ذكره ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس، وقال: "محمد بن الفرج الذراع المعروف بالدشاش، من أهل قرطبة، وهو الذي نسب إليه الذراع، روى عن يحيى بن يحيى" وشيخه هذا توفي سنة:315هـ وكان من كبار علماء قرطبة وله مؤلفات، ولم يذكر ابن الفرضي تاريخ وفاة محمد بن الفرج الذراع، وذكر وفاة شيخه، فيكون من أهل النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

وهكذا يعطينا التجيبي هذه المعلومة القيمة عن الذراع القياس المتداول بين الناس في الأندلس، وصلتها بالصدر الأول من زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وللعناية بهذا المقياس الشرعي رسم على سارية بجامع قرطبة ليعود إليه من شاء أن يضبط القياس، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن علماء الفقه المالكي بالأندلس كانوا من المتشبثين بالسنة، وبعمل الصحابة والتابعين، ورحلات العديد منهم إلى الإمام مالك إمام دار الهجرة شاهدة على ذلك.

ثم يقول: "وفي هذه الجزيرة من بقايا الأول أمثال التماسيح . أي التماثيل . مصورة في الرخام، يزعمون أنها طلسمات للتماسيح، وان التمساح لايظهر بسببها، فيما يلي مصر من النيل بنحو ثلاثة أميال، وأنه إذا انتهى إلى ذلك الحد انقلب على ظهره، والله أعلم بحقيقة ذلك"

وفي الحلقة القادمة بحول الله، يحدثنا التيجبي في جولته هذه عن أهرام الجيزة.

الهوامش

1 كتبغا يلقب بالعادل ومن المماليك البحريين خلع عن الملك حكم مابين (696.694هـ) 1296.1294م.

2. في الحقة الأولى من هذه الحلقات اشرنا إلى صعوبة اداء فريضة الحج في هذه الفترة، وأقوال الفقهاء في ذلك، وكانت بعنوان: "اهتمام مشايخ التربية الصوفية بالمغرب بفريضة الحج، وتنظيم ركبه وقوافله".

(تتمة ص:1)

1. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

2. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال "خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره".

3. وعن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقا، فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لارحم له، له حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم".

4. وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن لي جارين فإلى ايهما اهدي؟ قال: "إلى أقربهما منك بابا" رواه البخاري.

5. وروى ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من آذى جاره فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل، ومن حارب الجار فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل".

6. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل يارسول الله ، إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال صلى الله عليه وسلم "هي في النار" ثم قال الرجل يارسول الله فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها، وإنما تتصدق بالأشرار من الاقط، ولا تؤذي جيرانها قال صلى الله عليه وسلم: "هي في الجنة".

7. لقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء خاصة بالإهداء إلى الجيران فقال: "يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة".

8. ومن ادعيته صلى الله عليه وسلم "اللهم إني أعوذ بك من جار السوء، في دار المقام فإن جار الدنيا يتحول".

9. وفي حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كان يومن بالله واليوم الأخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يومن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه، ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".

10. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب هذا أغلق بابه دوني، فمنع معروفه".

11. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن ابن الزبير يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "ليس المومن الذي يشبع وجاره جائع"

12. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة، اسمع وأطع ولو لعبد مجدع الأطراف، وإذا صنعت مرقة فاكثرها، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فاصبهم منه بمعروف، وصل الصلاة لوقتها.

13. وعن أبي ذر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ياأباذر، إذا أطبخت مرقة فاكثر ماء المرقة وتعاهد جيرانك أو أقسم في جيرانك"

فهذه مجموعة من الآيات والأحاديث النبوية في موضوع التعامل مع الجار، وسنتابع الحديث عنها في العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

الحجة الباهرة على تقرير معنى البسملة

للعالم الهمام حجة الإسلام الشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الوافي رحمه الله

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

فقد سألني غير ما مرة جمّ غفير من الطلبة على أن أضع لهم شرحا مختصرا على البسملة، وأوائل السور، حسبما فتح الله علي وهو الفتاح العليم وبيده مقاليد السماوات والأرض، وآخر من طلب مني ذلك السيد الفاضل السيد أحمد الخليفة بن النحرير الفاضل السيد عمر بن السيد محمد المصطفى الرقادي.
فها أنا مسير إلى بعض معانيها ولو أنها لا تحصى ولا تدخل تحت حصره.

■ من ذلك ما أخرجه السيوطي من أن عليا رضي الله عنه لما سمع رجلا بذكر التورية فقال هي سبعون، وقرأ، فقال لو شئت لجعلت مثل ذلك على البسملة، ومن ذلك ما روى أيضا أنه قال العلم كله مستدير باللوح المكنون، وعلم الله المكنون مستدير باللوح المحفوظ، وعلم اللوح المحفوظ مستدير بالكتب المنزلة، وعلم الكتب المنزلة مستدير بالكتب الأربعة المعلومة، وعلم الكتب المعلومة مستدير بالفرقان، وعلم الفرقان مستدير بالفاتحة، وعلم الفاتحة مستدير بالبسملة وعلم البسملة مستدير ببائها، وعلم بائها بين الكاف والنون، إذ الكاف والنون نسبة والبسملة حكم، ولا يتأتى تقدير البسملة في الحكم، فيرفع الإشكال كون الحكم هاهنا قائما مقام النسبة، فيجوز إذا، إذ العلم هنا بمعنى الإرادة، والتكوين بمعنى القدرة وهما قضيتان متلازمات في العكس والإنتاج، وذلك قوله تعالى، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

❖❖❖❖

فصرح جل وعلا بالإرادة ولم يصرح بالقدرة إذ القدرة مفهومة من نفس التأثير، ويفهم من عموم القضايا أن العلم والإرادة والقدرة أوصاف متلازمة بحسب الطريق، والمتعلق وهو مذهب الأشاعرة وعليه إجماع أهل السنة.

❖❖❖❖

واختلف أيضا هل هي من القرآن أو خارجة عنه، فإن قلنا إنها منه فهل هي سورة أو آية أو كلمة، وإن قلنا بكونها آية فهل هي من الفاتحة أو من كل سورة، وإن قلنا إنها من الفاتحة فهل هي واجبة الإتصال بها أو لا؟ وإن قلنا بوجوب الإتصال فهل ذلك على الإطلاق أم في الصلاة كلها؟ أم في بعضها أم في النقل فقط.

❖❖❖❖

أما كيفية الإختلاف في كونها من القرآن أو خارجة منه فقد قال مالك إنها ليست من القرآن نفسه ولا بخارجة عنه، وتكرارها يدل على أنها خارجة، فجعلها مكروهة في الفريضة مباحة في النافلة، وهي مسألة قياسية، واستدل على أنها ليست من القرآن، بما أخرجه الترمذي من أنه(ﷺ) قال ألا أخبركم بسورة لم تنزل بعد داوود على أحد غيري، قالوا نعم يا رسول الله، فقال هي بسم الله الرحمن الرحيم، فنزولها على داوود وكونها بمعنى التعوذ جعلها خارجة عنه، وذلك بدليل قوله تعالى: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، فجعل بعضهم الاستعاذة على ظاهر اللفظ، وجعلها بعضهم البسملة.

❖❖❖❖

والأظهر ما ذكرته طائفة من أنها بخروجها وعدمه مشروعة، إذ قد أمر بها ورد بأن تأخير الطلب يدل على المراضات والتفريق، فالمراضات تدل على ندبها، والتفضيل على أن ذلك إنما يكون في النفل لخفته أو في مطلق القراءة، إذ المسائل مبنية على التعميم ما لم تفرق أو تخصص، إذ التفريق مقدم على التعميم حسبما ذكره المحققون.

❖❖❖❖

وأما الشافعي فإنه ذهب إلى أنها آية من الفاتحة وذلك بدليل قوله(ﷺ) ألا أخبركم بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داوود غيري، فقال الراوي قلنا نعم، قال بأي سورة تستفتحون القرآن إذا افتتحتم الصلاة، قلنا بسم الله الرحمن الرحيم قال هي، وبدليل قول جابر بن عبد الله الأنصاري قال، قال النبي(ﷺ) كيف تقول إذا افتتحتم الصلاة قلنا بحمد الله رب العالمين، فقال بل قل بسم الله الرحمن الرحيم.

ويفهم مما ذكرنا أنها واجبة الاتصال بالفاتحة، وأنها آية لا كمة ولا سورة، إلا ما روى أن رجلا قال الحمد لله، فقال له النبي(ﷺ) لا ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم.

وروى قوم أنها آية من كل سورة لما رواه ابن عباس أن النبي(ﷺ) كان إذا نزلت عليه البسملة علم أن السورة قد حلت وافتتح غيرها، وهي أول آية نزلت تقديرا، ثم تصريحا، وتلك مشروعية الابتداء بها.

أما نزولها تقديرا وتلميحا، فقوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم، والحكاية معلومة يضيق عنها المحل، وكيفية التقدير، إقرأ وجوابه مقدر تقديره ما أقرأ، فكأنه قال له اقرأ وابدأ باسم ربك الأكرم، فاشتمل اللفظ على جوابين وأمرين وإشارتين وشرطا، وأما الجوابان فما اقرأ وباسم ربك، والاقتران اقرأ واحدا والإشارتان فإشارته باقرأ إلى جملة القرآن، وبالأكرم إلى أن الله هو الإسم الأعظم وهو كذلك، وعليه إجماع المحققين، والرحمن الرحيم في هذه القضية مقدران وهو من باب حذف النعت وبقاء المنعوت، وقد ورد كثيرا، ومنه قوله تعالى أن اعمل سابقات، ومنه رواية البخاري في وفات النبي(ﷺ) في قوله عائشة فقالت إنه رجل فقال مثله أبي فقال إنه رجل أسيف كما مر، وبه قال مثله أي قولا مثله، وفي التصوير كقوله تعالى: اعملوا آل داوود شكرا أي عملا تستوجبون به شكر الله وهو من باب النعت بالجمل، ومنه قول صاحب الألفية.

ونعتوا لجملة منكرا
فاعطيت ما أعطيت خبرا

والتنكير إلى آخره:
ومنه قول صاحب الكافية:
وانعت بمشتق وجملة حوت
ضمير ما يك منكرا نعت

وقيل إنه من باب نعت المصدر بمثله، وتقديره، اعملوا آل داوود شكرا، أي عملا شكرا، ومنه قوله تعالى وما كان سعيكم مشكورا، وهو فضل بمعنى مفعال، كفاعل بمعنى مفعول، لكن يشترط في جميع ما تقدم الفهم من السياق، ومنه قول ابن معطي:

وخدمك المنعوت ان نعتا كثر
وحذفك المنعوت في الشعر مثر

ولا يعتني يقول بعض المفسرين القائلين بأن شكرا منصوب على أنه مفعول من أجله لعدم توفر الشروط فيه وبالتصريح ما قال(ﷺ) بعد الحكاية.

ثم رجعت إلى أهلي مرعوبا فقلت زملوني ثم حدث خديجة بذلك، وخشيت أن يكون أمرا، فأخبر ابن عمها ورقة بن نوفل فقال لي إذا أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول، فخلوت مرة فناداني جبريل فقال لي يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها، ولذلك سميت أم القرآن، أي أصله وفي هذه الحكاية زيارة، لكن اقتصرنا على المقصود.

❖❖❖❖

واختلف في نزولها قال قوم إنها لا تنزل إلاعلى داوود ثم نبينا عليهما السلام، والأصح ما رواه بعض المفسرين أنه(ﷺ) لما نزل آدم من الجنة توحش فأمره الله بناء مكة فلما بني البيت أخذ يطوف به ويبكي، فأنزل الله عليه البسملة، فصار يكررها ويقول: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

وقيل لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وذلك قوله تعالى، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.

❖❖❖❖

فأول ما نزلت على نوح في السفينة وبها نجى، ثم رفعت بعد موته ثم نزلت على هود وبها أخرج لقومه الجنة بواد الرمل والنار ... ثم رفعت ثم أنزلت على صالح وبها أخرج الناقة لقومه، ثم رفعت وأنزلت على موسى وبها نصر على فرعون وسحرته ثم رفعت وأنزلت على عيسى وبها كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ثم رفعت وأنزلت على داوود وبها أعطي الحكمة وفصل الخطاب، ثم رفعت بعد موته، وأنزلت على محمد(ﷺ) وبها فتح الله عليه كل خير وبقيت بعده على حقيقتها عند خاصة أمته، وباللفظ عند خاصتها وعامتها، ولم تكن في أمه غير هذه الأمة.

❖❖❖❖

واختلف في لفظها قبل نزولها عليه(ﷺ)، وقيل هي عجمية ولم أدر ما لفظها وقال قوم هي عربية وعليه الأكثر بدليل قوله أنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم.

❖❖❖❖

وروى السيوطي أن بعض المتقدمين استشكل تطويل باء البسملة المفعول بها هي النازلة المعظمة بطولها لاشتمالها على جميع العلوم كما مر، ولذلك طولت، وقيل لئلا يقع اللبس على القارئ فيتخيل ان السورة قد تمت عند قوله، انه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم كلزوم لام الابتداء بخبر إن المخففة من الثقيلة للفرق بينها وبين التي للنفي.

❖❖❖❖

وأما وجه التطويل في البسملة الوضعية فذكر بعض النحاة أنها طولت دلالة على الحرف المحذوف وهي باء الاستعانة والملابسة والزائدة والسببية والتعليلية ذلك أن القاعدة في كلام العرب عدم الجمع بين حرفين متماثلين للزيادة وللتوكيد، فإن تعلقا فإما أن يكون للكلمة خير أولا، فإن كان لها خبر ألحقت بها كلام التوكيد المتصلة بخبر إن، فالأصل اتصالها بأن فاستنقلت العرب اتصالها بها لكونها حرفي تاكيد فألحقوها بالخبر، إذ إسم إن جزءا منها وإن لم يكن للكلمة خبر غيرها تغييرا يدل على المحذوف كلام الاستعانة وباء البسملة.

❖❖❖❖

وأما محلها بالجملة بعد اختلاف بين سيبويه والكسائي فاختار سيبويه كونها جملة إسمية في محل الرفع، بناء على أن الضم هو أشرف مطالع الإعراب في المقدمات في كلام العرب الجمع بين الثقيل والخفيف ليتوافقا، وهذا على القول بأنها لا محل لها من الإعراب، وبالقول على أن لا محل لها من الإعراب، فقد وقع في ذلك نزاع، انظره في شرح الكافية على البسملة، فقال قوم هي في محل رفع على أنها جملة إسمية، وقيل فعلية في موضع رفع، وقيل في محل جر بمقدر وهو غير شديد، وذلك حملا على قراءة قوم الحمد لله بكسر الدال، وقيل في محل نصب بتقدير شرعت قبل الجملة وهو غير سديد أيضا، وقال قوم هي موقوفة كأوائل السور وممن قاله ابن الحاجب والبيضاوي في مختصره، وفي هذا طول بحال التسمية في المطولات، وقد آن لي أن أشرع في تفسير كل حرف منها على القدر الكافي لمن وفقه الله تعالى.

(يتبع)

في ظلال الحديث :

الحديث الرابع والتسعون: من أسباب الدخول إلى الجنة

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة فقال: الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا فقال أخبرني ما فرض الله علي من الصيام فقال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا فقال أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة فقال فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام قال والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق " رواه البخاري.

الجزء الثاني

المعنى العام (تابع)

"من أسباب دخول الجنة "
(أحاديث في نفس المعنى)

لقد أشرت في الجزء السابق، أنه يجب على المستشهد ببعض النصوص الحديثية أن يحاول ما أمكنه أن يجمع النصوص الواردة في نفس الموضوع، والتي تصب في نفس السياق، حتى لا يذهب يستشهد بالنص الحديثي لينصر الدين، فإذا به يهدمه، ويشوه معالمه، وإن للحديث الذي بين أيدينا مايشبهه في السنة النبوية الشريفة، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم، يجعل الفلاح ودخول الجنة نتيجة لعمل صالح بينه وحث عليه، وهذا في حقيقة الأمر من باب الترغيب، إذ لايعقل كما سيتبين لنا أن يكون دخول الجنة مقتصرا على عمل واحد دون غيره من أعمال الدين، لأن ذلك يكون تجزيئا وتبعيضا للدين، ومدعاة للكسل والتهاون، والاعتماد على عمل بسيط ذكر في حديث صحيح أنه سبب دخول الجنة، ويخاف على من نهج هذا النهج في التفكير والتحليل أن يقع فيما وقع فيه المرجئة خصوصا الغلاة منهم وهم الجهمية الذين قالوا: لو صدق بقلبه أو عرف الله فذلك كاف في دخول الجنة، ولو لم ينطق بالشهادة، ولو لم يعمل خيرا قط، قالوا: لايضر مع الإيمان ذنب، ولاتنفع مع الكفر طاعة...

وإن كان العقل السليم لايقبل هذا الاعتقاد بالفطرة، لكن وعملا بالمنهج العلمي في الاستدلال، سوف أدرج ما استطعت أن أجمعه من الأحاديث النبوية الصحيحة، مصنفا إياها حسب عناوين هي من أسباب دخول العبد جنة ربه جل وعلا وسوف لن أتطرق إلى تخريج الأحاديث لأنني جمعت الصحيح منها فقط، وسأعمل بإذن الله تعالى على نشرها مستقلة مخرجة ومحققة فيما يستقبل من الأيام.

وإنني بطبيعة الحال لاأدعي ولايحق لي ذلك، أنني بلغت في هذا الأمر مبلغ أهل العلم، ولكن هو جهد المقل، ومساهمة متواضعة، من باب لايدرك كله لايترك جله، وهو يدخل في باب الوفاء للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، والذود عن سنته، راجيا منه تعالى أن يوفقني إلى بيان ما أردت بيانه، وأن يرزقني في العمل الإخلاص والصواب.

وإليك أيها القارئ الكريم. أيتها القارئة الكريمة. بعضا من هذه النصوص الحديثية:

1. من لايشرك بالله شيئا: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أتاني آت من ربي فأخبرني. أو قال بشرني. أنه من مات من أمتي لايشرك بالله شيئا دخل الجنة" قلت وإن زنى وإن سرق قال "وإن زنى وإن سرق" متفق عليه.

2. من شهد بصدق ويقين وعلم وإخلاص: عن معاذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة".

3. من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله: عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".

4. طاعة الله ورسوله: عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال "كل أمتي يدخلون الجنة،إلا من أبى" قالوا يارسول الله ومن يأبى؟ قال "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى".

5. الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا: قال النبي (ﷺ): "من قال إذا أصبح: رضيت بالله وربا وبالإسلام دينا ومحمد نبيا فأنا الزعيم لأخذن بيده حتى أدخله الجنة".

6. إحياء سنن النبي صلى الله عليه وسلم:قال النبي (ﷺ):من أحيا شيء من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين".

7. الموت وختم الأعمال بالحسنى. قال النبي (ﷺ): "من ختم له بإطعام مسكين محتسبا على الله عز وجل دخل الجنة ومن ختم له بصوم يوم محتسبا على الله عز وجل دخل الجنة، ومن ختم له بقول لا إله إلا الله محتسبا على الله عز وجل دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة".

8. إحصاء أسماء الله الحسنى:قال النبي (ﷺ): "إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة".

9. قراءة آية الكرسي بعد الصلاة المفروضة.قال النبي (ﷺ): "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه ممن دخول الجنة إلا الموت".

10. المسلمات المطيعات لأزواجهن..قال النبي (ﷺ): إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت".

11. المتزاورون في الله عز وجل:قال النبي (ﷺ): "ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة... والرجل يزور أخاه في ناحية المصرفي الله في الجنة".

12. السلطان المقسط والرجل الرقيق القلب والفقير المتعفف: قال النبي (ﷺ): "أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ورجل فقير عفيف متصدق".

13. أهل الثناء الحسن: عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع.."

14. الفقراء والمساكين والضعفاء المغلوبون: قال النبي (ﷺ): "ألا أخبركم بأهل الجنة؟كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره"

15. تحليل الحلال وتحريم الحرام: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال"أرأيت إن صليت المكتوبة وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئا أدخل الجنة؟قال: نعم".

16. حب سورة الإخلاص:بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ (قل هو الله أحد...)فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يافلان مايمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ومايحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟فقال يارسول الله إني أحبها فقال :حبك إياها أدخلك الجنة".

17. المحافظة على الصلوات الخمس.قال النبي (ﷺ): خمس صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة..."

18. الحج المبرور: عن أبي هريرة قال قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . "الحجة المبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما".

19. كفالة الأيتام: قال النبي (ﷺ): "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة" .

20. بناء مسجد لله تعالى .قال النبي (ﷺ):" من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له مثله في الجنة"

هذه بعض من أكثر من مائة حديث جمعتها في هذا الباب، وكلها يبشر من خلالها النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، أنه من عمل عملا من هذه الأعمال الصالحة دخل الجنة، ومجمل القول كما أشرت سلفا أن هذا من باب الترغيب في العمل الصالح، وبيان سماحة هذا الدين ويسره، وكذا فضل الله ومنته على عباده الصالحين الذين وفقهم لصالح الأعمال (نسأله تعالى أن يجعلنا منهم)، وإلا فعمود الأمر كله وفسطاطه هو رحمة الله تعالى وفضله، كما جاء في الحديث، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لايدخل أحدكم الجنة بعمله" قالوا ولا أنت يارسول الله قال "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل" ووضع يده على رأسه. رواه أحمد.

فالمؤمن يجتهد في العمل مخلصا لله تعالى، ومتبعا لنبيه المصطفى، ويرجو رحمة ربه، وخير الناس من لقي ربه وهو يحسن الظن به.

دور النوافل في جبر الفرائض

إن الأصل في الإنسان إلا من عصم الله، النقصان والنسيان، وليس الكمال والتمام، ولذا ومن فضل الله تعالى شرع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، النوافل والسنن والرواتب، وكل ما يقرب من الله تعالى وجنته، وإن قول ضمام بعدم الزيادة والنقصان لايعني مطلقا، أن قصد عدم الإتيان بالنوافل ومايقرب إلى الله تعالى، بل الصواب والله أعلم، أنه قصد عدم الزيادة والنقصان عما شرع الله وبينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي البدعة، إذ البدعة في الدين قد تكون بالزيادة وكذلك بالنقصان، وإلا فما الذي دفعه يدعو قومه إلى الإسلام، هل الدعوة إلى الله من أعمال الصلاة؟نعم إن الدعوة إلى الله لها علاقة وطيدة بالصلاة، لأن الذي يصلي ويدرك معناها، ويعيشها في حياته، فكما أنها تمنعه عن الفحشاء والمنكر، وكل مايغضب الرب، فإنها تدعوه إلى فعل كل يرضي ربه، من ذلك النوافل، بل للنوافل درجة أكبر من ذلك، إذ بها يجبر ما وقع له من نقص عند أداء الفرائض.... وما أحوج العبد المؤمن إلى مايقربه من ربه ورضاه...

وأخيرا:

من أبرز سمات التشريع الإسلامي سماحته ويسر أحكامه فليس فيه حرج ولا مشقة، ولا عسر ولا تنفير، بل فيه اليسر والرحمة والخير والتبشير، وإن الذي يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها وأوضح صورها ونماذجها في العقيدة والعبادة والمعاملة، والحديث الذي بين أيدينا من أبرز الأمثلة على ذلك، وهو مانحتاجه اليوم عند الدعوة إلى الله، فهو أساس للتبشير واليسر ورفع الحرج، دون إهمال للأساسيات أو التفريط في الكليات، أو تساهل في الفرائض، وهو كذلك ليس تشديد وتعسير، أو تحجير وتكفير، وبين هذا وذاك هو الدين الحنيف... سواء على مستوى العقيدة أو التشريع أو العبادات والأخلاق والمعاملات... فالعقيدة الإسلامية ليس فيها تعقيد ولاغموض، ولانظرية جانحة ولافلسفة حائرة بل تتركز عقيدته في الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، حلوه ومره.. والعبادة في الإسلام ميسورة، وفي وسع كل إنسان أن يأتي بها فلا صعوبة فيها، ولايكلف الله تعالى عباده إلا بما هو في وسعهم لايكلف الله نفسا إلا وسعها... فلا غلو ولاتفريط، ولكن وسطية واعتدال واستقامة على مايرضي الرحمن، فذلك سبيل إلى طاعته وجنته....

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث الثغور

حماية البيئة الطبيعية والحفاظ على نقائها وبقائها واجب إسلامي أكيد...

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

■ الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل من كل ما حولنا وفي كل مايحيط بنا من سماء وماء وهواء وغبراء وصحراء وخضراء وأحياء بيئة طبيعية لنا نحن البشر سخرها لنا تسخيرا لنستفيد منها في حياتنا بكل مجالاتها علما وعملا... الحمد لله الذي خلقنا وخلق لنا كل شيء في جو الأرض وعلى ظهرها وفي بطنها ليكون لنا عونا على عمارة الأرض وزينتها بما يصلحها ولايفسدها، لأن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيبا، ولايحب الفساد في الأرض، ولا إهلاك الحرث والنسل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الرحمن الرحيم الغفور الودود ذو العرش المجيد، فعال لما يريد، وإرادته أنه جل وعلاشاء فأحيانا في أرض طيبة كأنها لنا أم رؤوم ببرها وبحرها، خلقها لنا كلها صلاح، وإذا ظهر فيها الفساد ببرها وبحرها فبما كسبت أيدي الناس، وخصوصا نوعا من الناس لايرون إلا الكسب والربح المادي في أبشع مظاهره، فهم لذلك لايرون أبعد من أنوفهم فيستغلون الناس، ويستنزفون خيرات الأرض، ويسممون منابع الخير في بيئة الأرض الطيبة من حولهم وهم من الناس، فيفسدون في الأرض ولايصلحون، من حيث يظهر لهم أنهم يعمرون وهم يخربون ، ويهلكون الزرع والضرع، من يحث يظهر أنهم يطورون وينمون هذا الزرع والضرع ولله الأمر من قبل ومن بعد وإليه المشتكى... وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله خير خلق الله الذي كان أكبر قلب خفق بحب أرض الله الطيبة ببرها وبحرها وسمائها وهوائها وجماداتها وأحيائها.. فقد أحب السماء بنجومها وكواكبها وسحابها وصفائها وزرقتها واتساعها، فكان لايفتر عن النظر إليها يتمتع بجمالها في كل أحوالها وأحيانها، ينظر إليها ليتملاها بعين البصر والبصيرة والفكر والتفكر والتدبير والتدبر ليرى في السماء ذلك السقف المحفوظ، وفي ارتفاعها العالي البعيد الذي تعرج إليه الملائكة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، أو ألف سنة، وفي زينة هذه السماء بزينة الكواكب وفي التماع نجومها وأقمارها، وفي أنها بكل هذا مستقرة محفوظة مرفوعة بغير عمد، هذه العمد لانراها، ولانلمسها، ولكن نستنتجها من حركة الأفلاك ونسميها الجاذبية اصطلاحا، وإلا فما هي هذه الجاذبية حقيقة؟ وبأي شيء تكون؟ وما حقيقتها؟ وكيف يمكن أن نحس بها بحواسنا الخمس رؤية وسمعا ولمسا وذوقا وشما؟ بل كيف يمكن أن نعيد إنتاجها إن شئنا؟ وها هي السماء بكل مافيها سقف مرفوع محفوظ بقدرة الله الحكيم العليم الذي هيأ لعقولنا القاصرة أن تعرف القدر اليسير عن الجاذبية أو ماسميناه نحن اصطلاحا مع التجاوز بالجاذبية التي تحفظ ارتفاع السماء ودوران الفلك، وهيأ جل جلاله لعقولنا ووسائلنا أن تخرج من هذه الجاذبية، ومع ذلك فلا زال التحدي القرآني للإنس والجن قائما: "يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان" وهذا التحدي وحي من الله العظيم نزل به جبريل الملك العظيم على قلب الانسان العظيم والنبي الرسول العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. وعلى كل من آمن به واهتدى بهديه إلى يوم الدين..وقد حقق بعض الناس نوعا من الخروج من جاذبية الأرض ففرهم الغرور وأعمى ابصارهم وبصائرهم فنقلوا فسادهم إلى خارج فضاء الأرض.. وأعلنوا ماسموه بحرب النجوم... فهم في الأرض يملكون من وسائل تدميرها من أسلحة الدمار والخراب والفناء من ذرية وهيدروجينية وكيماوية ومسكروبية ونيترونية مايمكن أن ينسف الأرض ويفتتها وعشرات من مثيلاتها.. وهم في تقدمهم العلمي يسمحون بتدمير البيئة الطبيعية في الأرض والسماء ويتسببون في انقراض أنواع وأنواع من الأحياء لمجرد شهوة الكسب والتملك والاستغلال.. ولايكتفون بهذا، بل إنهم يتسببون بتدمير البيئة العقلية والنفسية لإخوانهم في الإنسانية فيغزونهم بوسائل الإعلام على اختلاف أنواعها تحمل إليهم محتويات مدروسة بعناية ودقة وقصد شيطاني خبيث... لتفسد أخلاقهم وتشوه إنسانيتهم وتجعل منهم مجرد دمى آدمية فيها صورة الإنسان، وليس فيها قليل أو كثير من أخلاق الإنسان أو سموه أو علوه هذا الإنسان الذي كرمه الله وجعله في الأرض خليفة وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا... ولولا كرامة هذا الإنسان على الله جل جلاله لما سخر له السموات والأرض ومابينهما وما فيهما ظاهرا وباطنا... ولما وهبه العقل الواعي الحر المختار المريد الذي به يتحمل مسؤولية أمانة التكليف التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فإن هو أحسن القيام بها والقيام عليها فهو الإنسان حقا المكرم المفضل الفائز المفلح وإن هو أساء حمل تلك الأمانة وأساء استخدامها فهو الظلوم الجهول.. ومع العقل وهبه الله تعالى النفس السوية الملهمة فجورها وتقواها المهدية النجدين: الخير والشر، الشاهدة على نفسها منذ خلقها الأول بأن الله ربها وإلهها وحده لاشريك له.. و من عرف الله جل وعلا حق المعرفة، فهو لاشك سيعرف بالتالي أن الخلق عيال الله كل الخلق من إنسان وحيوان ونبات وجماد وهواء.. كل المخلوقات حيها وجامدها عيال الله، وأحب خلق الله إلى الله أنفعهم لعياله.. وأقدر مخلوق من خلق الله على نفع خلق الله عيال الله هو هذا الإنسان.. فإن هو نفع وانتفع فليسعد بحب الله، وليسعد بالتوافق مع الطبيعة بحيها وجامدها، وسيعيش في سلام وإسلام لأن الإسلام دين سلام مع النفس ومع الطبيعة وهو إسلام لله تعالى.. وإن فكر في أن ينتفع فقط ولو على حساب غيره من الناس أو الحيوان أو النبات أو الجماد... فإنه سيعيش في صراع مع نفسه أولا، ومن صارع نفسه فلن يرتاح لأن الله سيبتليه بالأمراض الظاهرة والباطنة النفسية والبدنية، وسيعيش في صراع مع بني جنسه من الناس، لأنهم سيرون فيه عدوا نهازا للفرص أنانيا أثرا استغلاليا مصاص دماء، وسيحسدونه ويكيدون له كيدا، فيعيش خائفا مرتعشا حذرا سيء الظن بكل ماحوله ومن حوله، وعلى المدى البعيد فإن الطبيعة بحيها وجامدها تدافع عن نفسها فتنتقم بإذن ربها، فتظهر ظواهر طبيعية غير عادية هي من الفساد الذي يظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.. وما ظواهر التصحر، والجفاف وتمزق طبقة الأوزن في الغلاف الجوي المحيط بأرضنا الطيبة، والأمطار الحمضية وموت الحياء والأحياء في كثير من البحار والبحيرات وتلوث المياه في كثير من الأنهار والآبار، وتلوث الهواء في أغلب مدن العالم، وجنون البقر إلا بسبب الفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس وخصوصا منهم الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون...

فما معنى كلمة (البيئة) هذه البيئة التي ينادي الواعون الصادقون المخلصون من الناس في كل مكان اليوم بحمايتها وتطهيرها والحفاظ عليها، والتي رأينا وسنرى كيف أن الإسلام بقرآنه العظيم وعلى لسان رسوله الكريم قد نادى صراحة وضمنا بحمايتها والحفاظ على طهارتها ونقائها وصفائها: البيئة: هي المنزل، ومنزل كل امرئ هو مملكته وهو ملجأه الذي يأوي إليه ليجد راحته وسكنه وسكينته وهدوءه، حيث يأكل ويشرب وينام ويعايش أهله وولده في حميمية وصميمية وتلقائية ويعاشر جيرانه وأصدقاءه وزواره وحيث يقضي وقته الثالث ليمارس بعض هواياته إن شاء... وحيث يعمل أحيانا ليلا أو نهارا إن كان ممن ينقلون بعض عملهم أو كله من مقر العمل إلى البيت أو ربما يكون المنزل هو المسكن وهو أيضا مقر العمل.. فإذن هذا المسكن وبيئته فيه ومن حوله ينبغي أن يكون رحبة في صدور أهلها وفي أماكنهم وأن يوسع كل من أهلها سكانا وجيرانا وزوارا لبعضهم في المكان وفي القلب والمعاملة وأن يحسن به الظن وأن يعمل ليسعده قبل نفسه، وأن يوثره على نفسه متذكرا قول رب العزة جل وعلا: "يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" وأي مكان نزل به المرء المؤمن الواعي المسلم السالم فهو منزل له حتى ولو كان به مجرد عابر سبيل يقيم لحظة ثم يروح إلى حال سبيله، فليتفسح في مجلسه قلبا وجسما وليؤثر على نفسه غيره ممن يجالسه أو يساكنه.. فما أجمل أن يحس كل امرئ منا سعة صدور الجميع له من حوله ممن يساكنهم أو يعاملهم أو يجالسهم.. وما أفضل أن يحس كل امرئ منا أنه في منزله وأينما حل فهو في رحب وسعة، فسيكون للحياة حينئذ طعم ومذاق ونكهة ليس هناك ألذ منه ولا أحلى.. وهذا المنزل ينبغي أن يكون أيضا نظيفا كله وبكل مافيه ومن فيه، لأن الإنسان بفطرته السوية التي فطره الله عليها يرتاح للنظافة... والمسلم مأمور بالنظافة في كل أفعاله وفي كل أقواله.. بل حتى في نيته.. والله طيب لايقبل إلا طيبا.. وكثير من المنازل تكون أيضا مساجد لأصحابها إذا كانوا غير جيران للمساجد.. بل إن المؤمن مأمور بأن يؤدي الكثير من سنن الصلوات وكل نوافلها في بيته، وأغلب النساء والأطفال صلواتهم في بيوتهم.. وأي صلاة هذه إذا كانت على غير نظافة في بدن أو ثوب أو مكان.. وأي إنسان هذا الذي ينظف داخل بيته ويترك خارجه قذرا مشوها؟! وهذا حال كثير منا تراهم في بيوتهم مثال النظافة والنظام، ولا يرعون حرمة لجار أو طريق فينلقون الأقذار والأذى في طرق الناس وأمام البيوت، والبيئة اسم عام للمنزل بداخله وخارجه.. وجار المنزل منه له حرمة أهله وقد كاد الجار أن يكون من الوارثين... وسلسلة الجوار أربعون جارا من الجهات الأربع فهي سلسلة ذهبية لاتنقطع مهما ابتعدنا لأن لكل جار أربعين جارا وهكذا... إلى أبعد مدى وإلى جانب النظافة هناك الجمال.. والله تعالى جميل يحب الجمال... وليس الجمال في التعقيد والغلاء...بل الجمال في البساطة وعدم التكلف..فبيئة المنزل ينبغي أيضا أن تكون جميلة ظاهرا وباطنا داخلا وخارجا بذوق مرهف يتذوق الجمال ويحس به ويعجب به ويعرف كيف يتمتع به ويعرف كيف ينسق ويبدع الجمال... في لوحة مرسومة بذوق جميل ولو رسمها طفل موهوب موهبة كامنة تحتاج إلى تشجيع وصقل وعناية.. والجمال أيضا في الأغراس التي تحيط بالمنزل من خارج لمن لا يمتلكون حديقة، يعتني بها جميع الجيران صغارا وكبارا ويتعهدونها بالسقي والتشذيب والحماية.. وفي أصص الأزهار والنبات بداخل البيت في الفناء أو في الشرفات.. والجمال أيضا في حسن تنسيق أثاث البيت وألوان جدرانه مع البساطة وعدم توخي ماغلا ثمنه الذي قد يؤدي إلى العجز، والعجز قبح في النفس وفي البيئة لأنه يؤدي إلى الإهمال فالتشويه.. والجمال أيضا في حفظ كل ما هو جميل وصونه ورعايته وعدم إفساده أو تدميره من طير أو حيوان أو نبات أو جماد يعيش معنا في بيئة منزلنا، فإن لم يكن له مكان بيننا لضيق المكان عن تحمله، فلنعهد به إلى من يتولى حفظه ورعايته بعد أن نتأكد من أنه أهل لذلك وقادر عليه..

وختاما نتوجه إلى الله العلي القدير السميع المجيب أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ومن الذين يقولون ويفعلون، وأن يجعلنا أهلا لحفظ بيئتنا الخاصة والعامة قادرين على ذلك... وأن يمنح نفوسنا الجمال، وصدورنا السعة، وبيئتنا العامة والخاصة الصون والرحابة والإبداع.. وأن يحفظ بيئة مغربنا الحبيب بسمائها وهوائها وفضائها وأرضها ومائها وأنهارها وبحارها وأحيائها وبكل من عليها وما عليها، بيئة حية جميلة صافية نقية طاهرة نافعة إلى أن يرث هو جل جلاله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين...

علم التوقيت

أسطرلاب الروداني

- الحلقة الأولى -

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ إن الاسطرلابات أنواع شتى وكثيرة الأشكال والأسماء قال ابو الريحان محمد ابن محمد البيروني:

الاسطرلاب آلة مسطحة يتحرك بعضها ويثبت البعض، فيحكي أشكاله أشكال الفلك بالحقيقة ويؤدي ما يؤدي إليه في بسيط الكرة لا يغادر منها شيئا.

والناس قد وضعوا الاسطرلاب على أنواع شتى بعضه محقق وبعضه مقرب ، أما المحقق : فمنه ما نقطة تسطيحه نقطة القطب الجنوبي وهذا يسمى الاسطرلاب الشمالي ، ومنه ما نقطة تسطيحه نقطة القطب الشمالي وهذا يسمى الاسطراب الجنوبي ، ومنها ماركب من الاسطرلاب الشمالي والجنوبي كالأسي ، والطبلي والسرطاني والسلحفي والجاموسي ومنها غير ذلك من الاسطرلابات كالكري وعصا الطوسي.

والذي نحن بصدده الآن الاسطرلاب الكري.جاء في الفصل الثاني في وضع الاسطرلاب الكري في كتاب " جامع المبادئ والغايات " لأبي الحسن المراكشي ما يلي:

الاسطرلاب الكري قريب من عمل الكرة (ويعني بالكرة . ذات الكرسي، قال تعمل كرتين أحدهما تماس بكل بسيطها المقعر محدب الأخرى، ونرسم في الأولى منطقة البروج ودائرة معدل النهار والكواكب الثابتة ، وفي الثانية الدوائر الساكنة أعني دائرة الأفق ودائرة نصف النهار والمقنطرات ودوائر السموت ، والمقصود منها هو المقصود بالكرة ، وهي الأوضاع الحاصلة للحركة الأولى أعني بالحركة اليومية لما اشتملت عليه الكرة الأولى من الدوائر والكواكب بالنسبة إلى ما اشمتلت عليه الكرة الثانية انتهى.

ثم يواصل أبو الحسن الكلام على كيفية تخطيط الكرة الخارجية والكرة الداخلية لأسطرلاب الكري بتفصيل دقيق.

ثم يتطرق مرة أخرى في الباب الثامن في كيفية العمل بالإسطرلاب الكري حيث يحيل فيه إلى أن العمل بالاسطرلاب الكري هو نفس العمل بالكرة الفلكية ذات الكرسي سواء بسواء ، وذلك واضح بين لمن له إلمام بعلمي الهيئة والميقات.

ثم إنني لا أدري أيكون أبو الحسن هذا المتوفى عام 660 هـ هو الذي اخترع هذه الآلة أم هو ينقل ذلك عن غيره، وهذا الاسطرلاب الكري هو الذي أخرجه وطبقه محمد بن سليمان الروداني المولود عام 1037 هـ المتوفى عام 1094 وأبدع في صنعته وسماه " الجامعة" وألف عليه كتابا في طريقة العمل به . سماه" النافعة على الجامعة" مطبوع.

وهذا الاسطرلاب الكري الذي نسب اختراعه للروداني ، بعد رجوعنا إلى كتاب " جامع المبادئ والغايات" وجدنا الحقيقة غير ذلك، لأن الذي رسم معالمه ووضع تخطيطه مفصلا هو أبو الحسن المراكشي المتوفى عام 660 هـ في كتابه " جامع المبادئ والغايات" وأن الشيخ محمد الروداني إنما طبق صنع هذا الاسطرلاب الكري على مقتضيات مافي " جامع المبادئ والغايات" ونقل ذلك حرفيا منه حسب ما اطلعت عليه شخصيا في النسخة المخطوطة الموجودة عندي من كتاب جامع المبادئ والغايات.

ويبدو أن الأستاذ أحمد بوزيد المولود سنة 1948 م المدرس بتارودانت أنه عندما ألف كتابا يتحدث فيه عن مزايا وأهمية شخصية سيدي محمد بن سليمان الروداني ، أنه تبع غيره ممن سبقوه في نسبة اختراع الجامعة للروداني ، إذ أن هذه النسبة أطبقت عليها جميع مراجع كتب التاريخ، فما أن يذكر مؤرخ أو مترجم للروداني إلا ويذكر له هذا الاختراع حتى أصبح لصيقا به.

وأنا كنت ممن كان يعتقد ذلك، إلى أن فوجئت بوجود أسطرلاب الجامعة بكتاب جامع المبادئ والغايات ، الذي سبق مؤلفه ابو الحسن المراكشي . الروداني بحوالي أربعة قرون.

وممن أشاد بأسطرلاب الروداني المسمى بـ " الجامعة " العالم أبو سالم العياشي المتوفى عام 1090 هـ/1679م ، في رحلته المسماة " بالرحلة العياشية، أو ماء الموائد" حيث ذكر بدأ من الصفحة 38 من الجزء الثاني من المطبعة الحجرية بفاس كلاما يشيد فيه بشخصية الروداني، ومخترعه.

حيث يقول:

ومن ألطف ما أبدعه وأدق ما صنعه وأجل ما اخترعه:

الأدلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت والهيئة ، ولم يسبق إلى مثلها ولاحاد على شكلها بل افتكرها الفائق وصنعه الرائق، وهي كرة مستديرة الشكل منعمة الصقل مغشاة ببياض الوجه ، المموه بدهن الكتان يحسبها الناظر بيضة من عسجد لإشراقها ، مسطرة كلها دوائر ورسوم قد كتبت عليها أخرى مجوفة، منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها ، مستديرة كالتي تحتها ، مصقلة مصبوغة بلون أخضر فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق ومخبر فائق، وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التو قيت والهيئة مع سهولة المدرك لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينهما مشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها.

وحاصل القول فيها أن الوصف لايكاد يحيط بها ، ولايعلم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها ... إلى آخر ماقال.

ثم ينقل العياشي عن الروداني في الصفحة 39 ج 2 قوله:

أما بعد فإن من فيض متن الله التي لاتحصى وإغراق وابل مواهبه التي لاتستقصى أن ألهمني لوضع آلة يستفيد بها إن شاء الله في علمي الهيئة والتوقيت من القاصرين أمثالي، ويجمع بها ماتفرق في جميع الآلات من أعمال الأيام والليالي، ومن أحاط بها علما أغنته عن المجيسطا في التعليم والبرهان ، لأنه غيب وهي شهادة وليس الخبر كالعيان ، فقد فتح الله تعالى في تعليق هذه العجالة عليها . انتهى

ثم يذكر العياشي الخطوط والدوائر الموجودة على هذه الآلة ، كما ذكر أنه قرأها عليه وأضاف قائلا:

ولما شاع ذكر هذه الآلة عند الناس تنافسوا في اقتنائها ولايقدر أحد على اتقانها إلا هو ، وكان يبيع الآلة منها بثمن غال ، وطلبت منه بيع واحدة منها فأبى من البيع ووهبها لي جزاه الله خيرا.

والعجب أنها مصنوعة من الكاغد، ومع ذلك لو ألقيت من شاهق لم تنكسر فهي مع صلابتها خفيفة الحمل لينة المجسة، وصفة ما تتخذ منه على ما أخبرني أن يوخذ الكاغد فيلقيه قفي الماء حتى يتحلل ويصير مثل العجين ، ثم يأخذ الصمغ العربي فيلقيه في الماء حتى يتحلل ، فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجنا ناعما، ثم يتخذ منه كرة ويجتهد في تكويرها حتى تتكور متساوية الأقطار بالنسبة إلى المركز بحيث لو ألقيت على سطح مستو لوقفت على نقطةواحدة، وقد أخبرني أن ذلك شق عليه حتى أخذ مسمارا وأدخله في وسطها، ثم أخذ نصف دائرة من نحاس مثقوبة الطرفين فأدخل طرفيه في رأسي المسمار الخارجين عن جنبي الكرة، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكورة على ذلك الهجين المكور ويزيل الناتئ منها ويزيد عنه المنخفض حتى تكورت غاية التكوير ثم طلاها ببياض الوجه ثم كتب عليه ما احتاج إلى كتابته، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة ، فلأجل ذلك لاتمحى الكتابة المذكورة ولو أصابها بلل من عرق اليد أو غيره، وكذلك أيضا الدائرة التي فرقها ، مصنوعة مثل ذلك إلا أنها يخربها مادامت رطبة ، فإذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه شق عليه خرمه لأنه يكاد يعمل فيه الحديد إلا بمبرد من الهند يبرده به كما يبرد النحاس والحديد، قد أخبرني أن الآلة الأولى التي استخرجها بقي في وضعها نحو عام ، واحتاج إلى كثير من الآلات في اصطناعها ، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدة قليلة.

وبالجملة فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد فلايكاد يتعاصى عليه شيئ من الصناعات المندرسة التي لم يبق إلا أخبارها فضلا عن الموجودة

انتهى كلام العياشي

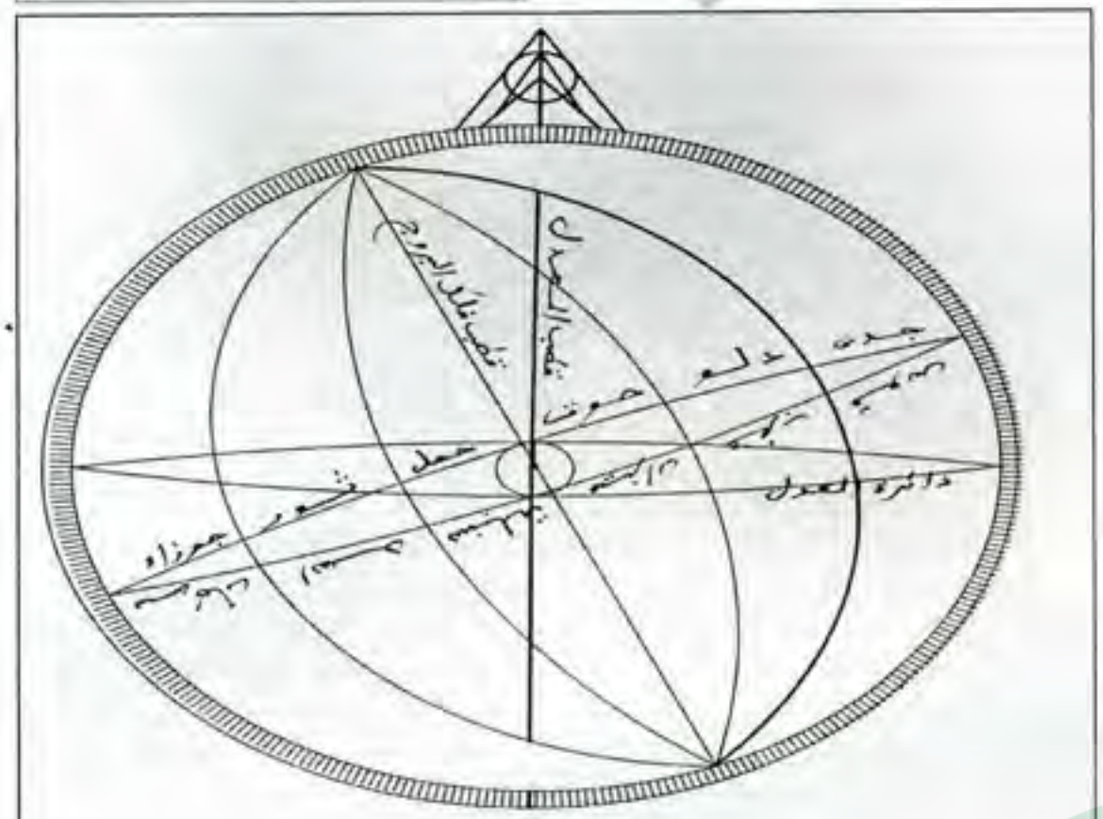

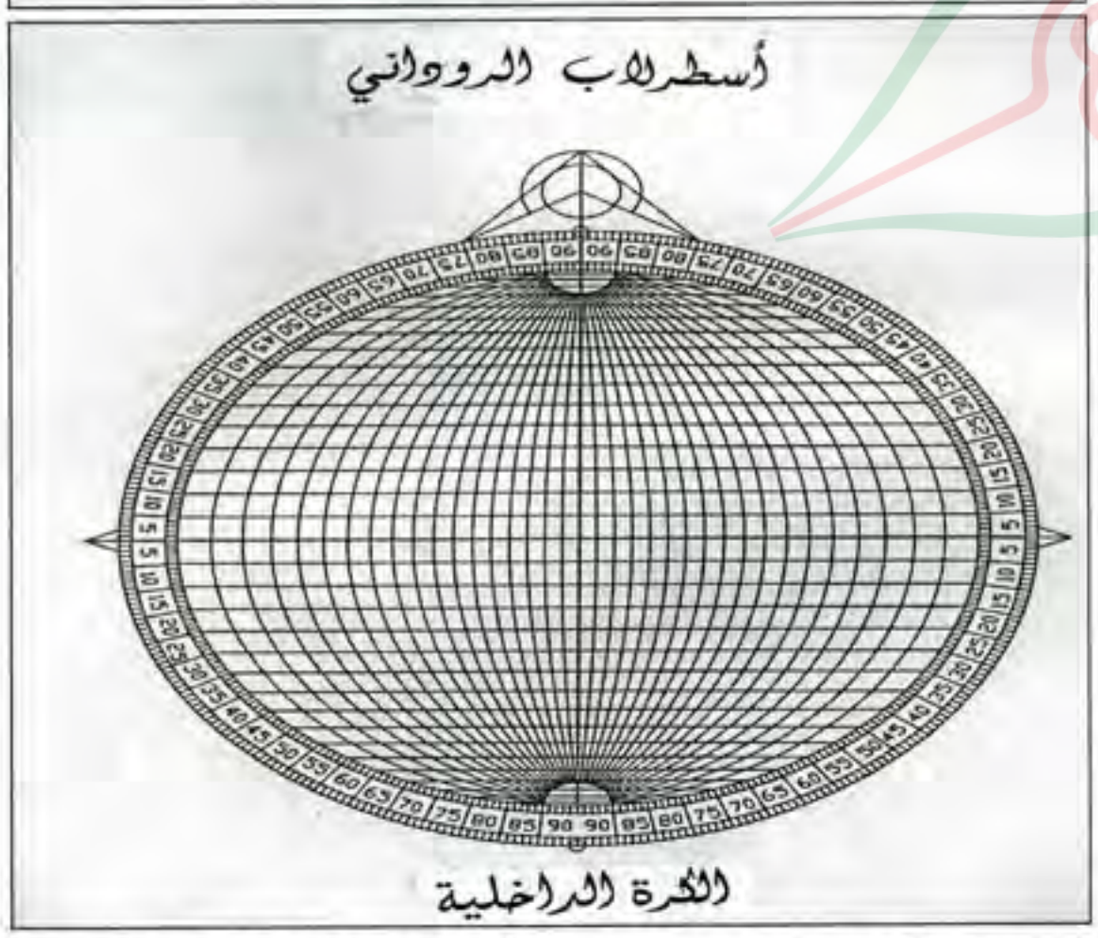

أوقاف الكراسي العلمية بمكناس في عهد المولى إسماعيل

■ إعداد الأستاذة: رقية بلمقدم

■ كان لكل كرسي أوقافه الخاصة التي كان يستفيد من مداخيلها الفقيه أو العالم الذي يباشر العمل في ذلك الكرسي ، ومن الكراسي الهامة بمكناس كراسي الجامع الأعظم ومن أوقافها:

. أوقاف كرسي الليل أو اليل! شملت أوقاف هذا الكرسي حسب ما جاء في تقييد بحوالة الأحباس الكبرى رقم 5.

أربع حوانيت ملكيتها تامة، وخمسة مشتركة ، وكانت تقع بالخرازين، وسويقة الجمعة، والعطارين ، والصبطريين .. منها مثلا:«نصف حانوت بالخرازين من شركة مسجد القشاشين بالنصف وتقابل التربيعة التي هناك: وإذا كانت تلك الأوقاف معينة لكرسي الليل ، فإن هناك أخرى رصدت للقراءة بها نهارا من ذلك«حظ بحانوت العطارين الثانية عن يسار الخارج من القاعدة الكبرى حبس على القراءة بوقت الظهر على الكرسي المذكور وكانت لهذا الكرسي أيضا أوقاف خارج المدينة شملت فدانا ببني موسى وغابة زيتون بحديدة« جميع غابة الزيتون السقي بحديدة.. الثلثان الإثنان منها حبس على القراءة بالليل(كذا) والثلث الواحد حبس على القراءة بالظهر.

أوقاف كرسي التوريق:

كان هذا الكرسي بظهر العنزة من الجامع الأعظم ، ومن أوقافه

. حانوتان بالتربيعة التي كانت تقع أمام درب سيدي غازي.

. أربع حوانيت مشتركة : ثلاثة أثمان حانوت بالدقاقين ثمن حانوت أخرى بالخبازين.، ونصف حانوت ثالث بالشناكين، ونصف جلسة حانوت بالصبطريين.

وكل تلك ا لأوقاف خاصة بقراءة المنذري على الكرسي المذكور . غير أن هناك نصف حانوت أخرى بالصبطريين حبست على قراءة كتاب الرصاع بعد صلاة الجمعة.

أوقاف كرسي التفسير المعد للتوريق:

كان هذا الكرسي محبسا على قراءة تفسير القرآن بالجامع الأعظم ، ومن أوقافه داخل المدينة:

نصف خمس حوانيت بباب الجديد التي عوضت ببلاد المغطس الكائنة بسيدي علي بن منصور . خمسة أثمان حانوت بالخبازين وجلسة حانوت بتربيعة الخرازين كانت توجد وسط العطارين تحت درب الشرفاء في مواجهة الداخل للتربيعة.

. نصيب من فنيدق با بلخير « السدس قل سبعه في الفنيدق المعروف لبا بلخير ، قرب الباب الجديد من شركة الحبس المناقل للجانب العلي بالله».

يضاف إلى ذلك ثلث بقعة فنيدق بالسفاجين كانت تجاور حوانيت الحجامين ، ودار بادو، ودار الصابون لكركوش.

أما خارج المدينة فقد كان من أوقافها هذا الكرسي :

موضع زيتون بالرميلة قرب قرن الفرس كان يجاور سوسان ، موضع آخر معروف بالفكارين بحديدة.

أوقاف كرسي القشيري :

كان يقرأ عليه . كما سبق الذكر . رسالة الإمام القشيري والبردة والجوزي ، ومن أوقافه أرض بتيللت حوز مكناس

أوقاف كرسي التفسير المعد للتدريس:

أرض بأبي ملال وأرض بعين العنبر ، ونصف أرض حرودة وجنان أفراس بالعين الكبير، وعشر أواقي من جزية اليهود، وربع دار سيدي عبد الله بن حمد.

أوقاف الكرسي الذي بإزاء باب القيسارية المعد للتوريق:

حبست أوقاف هذا الكرسي على قراءة سيدي الكلاعي»، وقد شملت حسب تقييد أواسط شهر ذي الحجة عام 1116هـ / 1705م .

. حانوتان متصلتان بباب المشاوريين القديم، مواليتان لطراز هناك ومستندتان على سور المدينة ، وثلثا كل من الحانوتين السادسة والسابعة من باب التربيعة المقابلة لباب درب غازي

من أوقافه هذا الكرسي خارج المدينة : الولجة المعروفة بولجة الكلاعي بمستاوة التي كانت تجاور أرض أحرضان وأرض الحبس. وزيتون بعين الغزلان كان يجاور الحبس والقلفط، وأرض بأبي ملال وأرض بعين العنبر.

لم تكن الكراسي العلمية بمكناس تقتصر على المسجد الأعظم بل كان لبعض الجوامع والمساجد أيضا كراسيها الموقوفة عليها ومن بينها:

الكرسي المحبس لقراءة الكلاعي بمسجد الأنوار

وقد أنشأ هذا الكرسي ناظر الإيالة محمد الكاتب الأندلسي وحبس عليه كتاب الاكتفاء لسليمان بن موسى الكلاعي وهو في ثلاثة أسفار، وكتاب الواعظ لشعيب الحريفش في سفر واحد ، كما حبس على قارئي الكتب المذكورة مصرية محملة على دار وضوء المسجد ، والحوانيت المتصلة بها . وذلك في أواخر ذي القعدة عام 1115هـ /1704م

كرسي التفسير بجامع التوتة:

ومن أوقافه ثلاثة حوانيت كانت تقع أمامه وغابة زيتون بالرميلة.

كرسي التفسير . أيضا . بمسجد الزورق:

من أوقافه ثلث فندق بابلخير بالباب الجديد كما يفهم من ما ورد في تعليق بحوالة الأحباس الكبرى بمكناس : الثلث الآن بيد الواعظ بالتفسير بكرسي الجامع.

البرنامج العام بأنشطة المجلس العلمي لجهة الرباط- سلا- زمور- زعير خلال شهر ذي الحجة لعام 1424هـ

1- المحاضرات

ر . ت	عنوان المحاضرة	إسم المحاضر	موعدها ومكانها
1	" أسس نجاح الحوار المذهبي "	ذ . عبد الرزاق الجاي	الأربعاء 28 يناير 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكي الناصري بمقر المجلس العلمي .
2	" الاستقامة "	ذ . إبراهيم الزيتي	الأربعاء 4 فبراير 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكي الناصري بمقر المجلس العلمي
3	" من أدب الإسلام "	ذ . سعيد النقاش	الأربعاء 11 فبراير 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكي الناصري بمقر المجلس العلمي .
4	" المرأة الصالحة ودورها في المجتمع "	ذة . أمينة بنيعيش	الأربعاء 18 فبراير 2004 م بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكي الناصري بمقر المجلس العلمي .

التضامن الاجتماعي في الإسلام

■ إعداد الدكتور: عبد الحميد بلحاج

■ إن التضامن في الإسلام أنواع : تضامن بالمال ، والجاه ، والبدن ، والخدمة والنصيحة والإشاد، والتضامن بالدعاء والاستغفار، وعلى قدر الإيمان يكون هذا التضامن فكلما ضعف الإيمان ضعف ، وكلما كان الإيمان قويا كان التضامن قويا.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الناس تضامنا مع أصحابه في ذالك كله، وسار على نهجه صحابته رضوان الله عليهم وكانوا يواسون الفقراء بكل شيء حتى إن الصحابة دخلوا ذات يوم على صحابي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ماهذا ؟ ياأبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ماأواسيهم به فأحببت أن أواسيهم في بردهم، قال أنس بن مالك: كان أبو طلحة أكثر الأنصار مالا من النخيل التي يملكها وكان أحب أمواله إليه بستانه الذي يسمى بيرحاء وكان يقابل المسجد النبوي ، فلما نزل قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إن الله أنزل عليك هذه الآية وإن أحب مالي إلي بستاني بيرحاء وقد جعلته صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (بخ). كلمة تقال للتعجب. والتفخيم (ذاك مال رابح مرتين وقد سمعت ما قلت وأرى أن تجعلها في الأقربين) فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه الفقراء والمحتاجين ، بل إن هناك من الصور الجميلة المشرقة في هذا التضامن ما يجعله نموذجا حضاريا فهو لا يكتفي بضمان الحاجات المادية بل يسمو إلى خلق التضامن في طلب العلم ومحاربة الأمية.. ومماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يتفقهون..» وهكذا نرى أن الشرع الإسلامي الحنيف لايريد للمسلم ولايرضى له أن يستشعر السعادة والتفهم وحده في هذه الحياة بما آتاه الله من مال وجاه ومن علم وصحة ومكانة ومتاع وسعة في الرزق وبسطة في الكسب، ولكنه يريد من المسلم أن يكون محبا للآخرين محبة قلبية صادقة ومحبة علمية واقعية تجعله يوصل إليهم شيئا من معونته وعطفه ومن خيره وسعادته بقدر المستطاع والإمكان وفي ذلك ما فيه من دلالة على سلامة القلوب المؤمنة وصفاء النفوس الطيبة وعلى التماسك والتكافل بين أفراد المجتمع المسلم في السراء والضراء والشدة والرخاء عملا بالحديث « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»

إن التضامن الاجتماعي في الإسلام هو بناء تشريعي كامل ونظام اجتماعي شامل، هدفه هوضمان العيش الكريم لكل فرد في المجتمع بضمان حقه في المأكل ،الملبس والمشرب والمسكن وحقه في الشغل، وحقه في التعليم، وفي كل ماهو في الحياة الكريمة: ومن المعلوم أننا إذا أردنا مجتمعا متضامنا على الطريقة الإسلامية فلابد من التفكير قبل كل شيء في بناء العقيدة وترسيخ الإيمان، ولايمكن تركيب الإحسان بمفهومه الإسلامي في مجتمع مادي إيمانه بالله مهزوز ولا يخاف الله، وهذا أول فارق بين التضامن الاجتماعي في الإسلام ، ونظيره في الأنظمة الوضعية، فالتضامن في الإسلام إيماني رباني والمسؤولية فيه مزدوجة دنيوية وأخروية يكون وراءه ذلك الباعث الديني المؤدي إلى المداومة على التضحية والسرور بها بينما التضامن الوضعي خال من كل هذا اللهم إلا ما كان من عاطفة إنسانية تحضر وتغيب.

فالإنسان في عقيدة الإسلام مكرم من حيث هو إنسان وجاء التضامن الاجتماعي أيضا إنسانيا ويستوعب المجتمع البشري دون تمييز، روى أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : قدمت علي أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله قدمت إلي أمي راغبة أفأصل أمي؟ قال : نعم صلي أمك، ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وهو في طريقه إلى الشام براهب فأمر بإعطائه من بيت المال راتبا يكفيه ويكفل له حاجته مدى الحياة، ثم إن الإسلام جاء بمفهوم واسع للتضامن الاجتماعي حتى يتساوى الأغنياء في العملية التضامنية حيث جعل أمام الفقراء مجالا واسعا لفعل الخير وصرح الرسول صلى الله عليه وسلم بأن كل معروف صدقة وعمل الإنسان بيده صدقة ، وقال صلى الله عليه وسلم ، إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال ، وقال «إن أشرف الكسب كسب الرجل من عمل يده» فالإسلام لا يرضى التسول لمسلم ، وهو يقدس العمل ويحض عليه ، وإن أحسن تضامن مع الفقراء هو فتح باب الشغل أمامهم وبالتالي ضمان العيش الكريم مع اغنائهم عن مداليد والسلام عليكم ورحمة الله تحية وتقدير إلى علمائنا الأجلاء .

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

سياقة متهورة .. وفواجع السير فإلى متى؟

■ حضرت في مناسبة حفل زفاف أقامه صديق ابتهاجا وفرحا بولده، وتقاطر المدعوون لمشاركة الأسرة فرحها، بينما الأبوان وأفراد العائلة يستقبلون الحاضرين بالترحاب والعناق.

كانت السعادة تبسط أجنحتها على الحفل ، والطرب والموسيقى يملآن المكان، وماكان أحد في تلك الليلة البهيجة يتصور أن ينتهي العرس بفاجعة من فواجع حوادث السير ، وذلك أنه في مطلع الصبح وفيما كانت عائلة صغيرة برمتها تودع المكان وتركب السيارة أقبلت من الطريق المعاكس شاحنة ضخمة فداست العائلة وهم خمسة أفراد وقتلتهم في ثوان معدودات وينقلون إلى مدينة شفشاون من أجل تحضير جنازة بخمسة نعوش في جو مشحون بالألم ، مغمور بالدموع.

هذه الحادثة ، وأقوال الفاجعة جعلتني أتساءل عن أسباب حوادث السير الخطيرة والكثيرة ببلادنا؟ أيكون سببها هو تهور السائقين وهم يقودون سياراتهم في جنون حتى أن أحدهم يخال نفسه سائقا لصاروخ ، فهو ينطلق من اليمين والشمال غير آبه بعلامات السير ولا بالراجلين الأمنين، ولا يلبث أن يرفع صوت الزامور باستعجال، أو ليقول للناس : إني مستعجل جدا فافسحوا لي الطريق.

إن حوادث السير تخلف آلاف الضحايا سنويا، وهي في تزايد مستمر، وكم من عائلات تيتمت بالكامل بفقدان عائلها بسبب نوبة جنون وكم من أطفال تشردوا بفقدانهم الأب والأم مجتمعين في حادثة سير.

صحيح أن طرقنا تعززت بتوسيعها في كل المدن ونواحيها إلا أنه مع ذلك تبقى المسؤولية لاصقة بالسائقين، فقد تجد سائقا يخرج مخمورا من حانة ويمسك مقود سيارته ويشد بقدمه على دواسها كالأحمق من غير شعور، ولا يعرف ما أمامه وما خلفه، وما عن يمينه وشماله فيرتكب حماقته بدوس الناس أو الإلقاء بسيارته من شاهق وقد تجد سائقا يندفع بشاحنته أو حافلته وهو بين اليقظة والنوم ، ولا يدري هل هو نائم صاح، فيوجه رأسا ليصطدم بسيارة ويقتل من فيها ، على أن هناك سببا آخر من أسباب حوادث السير يرجعها أحدهم إلى غياب معايير وشروط الأمن والسلامة ، ويقول بأن هناك تخوفا كبيرالدى السائقين الذين يستعملون الطرق السيارة في الليل، وتعرض العديد من المواطنين للسرقة عقب أعطاب لحقت بسيارتهم، ودعم رأيه هذا بما حدث لأستاذ جامعي في الطريق السيار الرابط بين الرباط وفاس، ورجع أحدهم أسباب حوادث السير لفقدان شروط السلامة ومنها عدم وجود هواتف عبر الطرق تكون في خدة مستعمل الطريق تمكنه من الاتصال بالأرقام التي تسعفه في الحصول على المساعدة والإغاثة في أسرع وقت ممكن.

إن سؤالا ينتصب في الذهن أمام هذه المسابقات الجنونية والسياقات المتهورة والسرعة المفرطة وعدم احترام قوانين السير : هل يكفي اعتماد سياسة التشدد اتجاه كل سائق متهور يتسبب في الحادثة؟ نعم يجب زجر هذا السائق المجنون وتغريمه ومعاقبته، ولا ينبغي غض الطرف عن مسؤوليته وإذا كان زربانا أو متسرعا ولا يقدر طبيعة المسؤولية الواقعة على عاتقه سواء اتجاه الركاب المتواجدين معه في سيارته أو المتواجدين في السيارات الأخرى ، فيجب أن تكون العقوبة شديدة . أما عن ظاهرة استعمال الهاتف النقال أثناء السياقة ، فأعتبرها من الأسباب الخطيرة ، ورب سائق تجده يندفع بسيارته ويمسك هاتفه ليسأل أهل داره عن نوع الخضر في الكسكس ؟ وهل الغذاء جاهز؟ أو هل اتصل بكم أحد هذا الصباح؟ في مثل هذه التفاهات يستعملون الهاتف النقال ، ولازلت أذكر حادث سير تسبب في وفاة شخص أعرفه، وكان قادما من الدار البيضاء والمناسبة رمضان وإلى جانبه ولده، وحدث أن تناول الهاتف ليتكلم مع زوجته بشأن مائدة الفطور هذا بينما السيارة تمشي بسرعة، وفجأة قفزت في هاوية سحيقة، ومات الرجل وخلف عائلة وأولادا يندبونه.

فهل أصبحت حوادث السير بمثابة حروب تأتي على الأخضر واليابس؟ وإلى متى يستمر غض الطرف عن الحوادث المفجعة دون معاقبة مرتكبيها المتهورين مهما كان شأنهم وصفاتهم في المجتمع؟ ألا نستعمل المبدأ القائل: بأن الكل سواسية أمام القانون ؟

القرآن المرتل

حرف الغين

■ إعداد الأستاذ: عبد الواحد بن سكى

■ حرف حلقي ، يخرج من جهة اللسان عند اللهاة . وهي زائدة لحمية صغيرة آخر سقف الفم متحركة متدلية إلى أسفل من الطرف الحلقي للحنك.

وعند النطق به ينحبس جريان النفس معه قليلا ، مما يمكن الصوت من التكيف معه . وإعلانه حرفا مجهورا قابلا للتصويت به ، لقوة الاعتماد عليه في مخرجه. وهي صفة تقوي ذات الحرف دون الشدة ، لأن ضعف لزوم حرف الغين لموضعه ، أجرى معه الصوت جريانا تاما ، لو أردت أن تمدده لمددته بسهولة ولين، وهذا ما عبر عنه علماء التجويد واللغة بالرخاوة ومادمنا نتحدث عن النفس والصوت، فلا بأس من توضيح الفرق بينهما . فالنفس بفتح الفاء هو ذلك الهواء الخارج بدفع الطبع، أما إذا كان بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمي فهو الصوت ، ومن هنا يكمن القول أنه قد يجري النفس ولا يجري الصوت، وقد يجري الصوت ولا يجري النفس، أو ينحصر كلاهما كما في قولك :إق.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه عند التلفظ بحرف الغين، يقع افتراق وتجاف لكل من عنصري اللسان والحنك الأعلى مما يشكل انفتاحا فيما بينهما الشيء الذي يمكن الهواء من الإنسياب مع النطق ، بلطف ، مع ارتفاع لآخر اللسان إلى الحنك الأعلى وهي صفة عارضة لحرف الغين تسمى بالاستعلاء.

ومن الصفات الأخرى لحرف الغين كونه حرفا ثقيلا ، وهذا ما عبر عنه فقهاء التجويد في مصطلحهم بالإصمات ومعناه في لغة العرب المنع أي منعت حروفه من أن يبنى منها وحدها في لغة العرب رباعي الأصول أو خماسيها لثقلها على اللسان ، ومن هنا كان لابد أن يكون معها في كل كلمة رباعية أو خماسية الأصول حرف من الحروف التي جمعت في قولهم : مر بنفل لتعادل خفة هذه الحروف ثقل الحرف المصمت.

إذا لقي حرف الغين حرفا من حروف الحلق وجب بيانه، نحو: ربنا أفرغ علينا ، سورة البقرة الآية 250.

.. وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، سورة لقمان الآية 20.

..«وأبلغه» سورة التوبة الآية 6 ، وكذلك القاف نحو: لاتزغ قلوبنا» سورة آل عمران الآية8.

وإذا وقع بعدها شين : تأكد بيانها كي لا تتحول إلى خاء: مثل : « والليل إذا يغشى » سورة الليل الآية 1.

« إذا يغشيكم النعاس أمنة منه » سورة الأنفال الآية 11.

كما تظهر جليا عند سكونها نحو: وأغطش ليلها » سورة النازعات الآية:20

«فيغفر لمن يشاء » سورة البقرة الآية284.

ويجب تفخيم حرف اللين المتولد عن حركتها: «نحو غافر الذنب» سورة غافر / الآية 3 «وغيض الماء» سورة هود / الآية 44 «ولا يغوث ويعوق ونسرا » سورة نوح / الآية 23

وإذا جاوزت الغين التبيين : نحو» ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » سورة آل عمران الآية 85

الكتاب الإسلامي إحدى مميزات الحضارة الاسلامية

■ إعداد الأستاذ : عثمان بن خضراء

■ كان المسلمون قد حملوا كتاب الله تعالى، القرآن الكريم، الذي تركزت حوله الدراسات إبتداءً وأساسا ، ثم وجدوا في البلد التي دخلها الإسلام كتبا كثيرة متنوعة، فلم يحقروها أو يتلفوها . كما فعل الغزاة الهمجيون المدمرون عبر التاريخ . بل اهتموا بها وطوروها وحفظوها وقادوا أكبر حركة فكرية ونهضة علمية شملت جميع أنحاء العالم وكانت أساسا لما يزخر به من العلوم والفنون في المشرق والمغرب.

ولعل أهم حدث . بعد تدوين الوحي . في عصور الإسلام الأولى ، هو تسجيل جميع الحوادث التي لها علاقة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبحديثه الشريف . ذلك أن الرغبة في حفظ الحديث ومعرفة رواته . باعتباره المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي . قادت إلى وضع الأسس العلمية المنهجية الدقيقة، وإلى العناية بتأليف الكتاب .

ونستطيع القول بأن الكتاب في تلك العصور كان دليل نهضة حيث كان المسلمون يعيشون مضمونه ويتزودون منه، ويتفاعلون بمادته ، وينشرونه ، ويدركون قوته ويقدرون خطره في إثارة حاسة التفكير والتدبر عند الإنسان.

أما في عصور الانحطاط ، فإن الكتاب ينقلب إلى شاهد إدانة، حيث يكتفي منه بالاقتناء للمباهاة والتقليد ، ويصير إنشاء المكتبات في البيوت للشكل والزينة، وربما يكون صاحبها جاهلا لا يعرف القراءة أولا يهتم بها!

وحينما يجمد التفاعل مع الكتاب على هذا النحو ، تتغير نظرة الناس إليه ، ويرثها الأحفاد عن الأجداد، فلا يقوم كأداة قوة وتفاعل حضاري ووسيلة تطور معرفي ، بل يصبح مجرد تحفة، يحرص الوجهاء على اقتنائها لتحنيطها أو حفظها خلف جدران سجون الفكر أو ما يسمى تجاوزا بخزائن الكتب ، ويقف الكتاب شاهد إدانة بما يصيبه على أيدي أناس عصر الانحطاط وقد ارتبط الكتاب الإسلامي . في مختلف الظروف . من النهضة إلى الانحدار . بالمكتبات . كوسيلة لحفظه، وعرضه، وانتشاره بين الناس ، الأمر الذي ساهم . إلى حد كبير في توسيع نطاق الحضارة الإسلامية وتغذيتها وترقيتها ، أو حرصها وانحسارها!

فعندما اتسع افق المسلمين العقلي وازدهى تقدمهم الحضاري، وتنوعت اهتماماتهم الثقافية والعلمية ، زاد بالقدر نفسه عدد المكتبات وتنوعت أغراضها ، وانتشرت المكتبات العامة المفتحة للناس كافة على اختلاف ثقافاتهم ، ومكتباتهم المساجد والربط، ومكتبات الدولة التي ينشئها الخليفة أو الحاكم أو الأمير، والمكتبات الأكاديمية الخاصة بالدراسات العالية، ومكتبات المدارس والجامعات ، والمكتبات الموجودة بالمستشفيات أو البيمارستانات، والمكتبات التجارية الخاصة ببيع الكتب.

أما في عصور الانحطاط فقد وجدت الكتب طريقها إلى الخزائن التي تهتم بالشكل ولا يتردد عليها أحد.

وكانت مكتبات المساجد أول نوع من المكتبات العامة عرفه المسلمون ، فقد جرت العادة في عصور الإسلام الأولى أن يودع الناس في المساجد عددا من نسخ القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية النافعة كوقف لفائدة المطالعين من المترددين على المساجد . فقد كان المسجد مكانا للدراسة بمختلف مراحلها، وبمعظم فروعها ولاتزال مساجد كثيرة في أنحاء العالم الإسلامي لا تقتصر مكتباتها على الكتب الدينية المتخصصة فحسب ، وإنما توجد إلى جانبها كتب في فروع المعرفة المختلفة . وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر نوعا من المكتبات انفردت به . كظاهرة حضارية . عصور النهضة الإسلامية ، وهي مكتبات المستشفيات (استعمل المسلمون لها الكلمة الفارسية « بيمارستان» وتعني بيت للمرضى . حيث ألحقوا بها مكتبات متخصصة حافلة بثمرات العقول . و ذلك لأن المستشفى . في الحقيقة ، لم يكن مكانا للت طبيب والتمريض فحسب ، وإنما كان أيضا مكانا لتعليم طلاب الطب والتدريب العلمي والدارسة النظرية ، مثل « البيمارستان النوري» الذي بناه نور الدين الشهيد في دمشق في القرن السادس الهجري.

ومن أنواع المكتبات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي ما يمكن أن نسميه المكتبات الخاصة ، حيث حرص بعض الأغنياء والموسرين وأهل العلم على اقتناء مجموعات كبيرة من الكتب النادرة في أبواب الثقافة المختلفة والاهتمام بها . ومن هؤلاء الذين توفروا على جمع الكتب القيمية واشتهروا بمكتباتهم الخاصة الفيلسوف الكندي . وابن العميدالذي كان يشرف على شؤون مكتبه الخاصة المؤرخ الشهير ابن مسكويه، ويتعهدها بعنايته ويغذيها بعلمه، وأدبه، ويزودها بالكتب النافعة ويستنسخ بعضها .

ويروي ابن مسكويه عن مدى اهتمام ابن العميد بكتبه وحرصه عليها . في وصفه لحادث إغارة العسكر الخراسانية « جند آل سامان، على الراي مدينة ابن العميد، فيقول «ورجع الخراسانية إلى معسكرهم ، فلما أصبحوا باكروا الحرب، ودخلوا المدينة من ناحية « أجران» وفيها دار ابن العميد .. واشتغلوا بنهب داره وخزائنه ، إلى أن أتى الليل وانصرفوا وكان إلى خزانة كتبه فسلمت ولم يتعرض لها، فلما انصرف إلى منزله لم يجد فيه ما يجلس عليه واشتغل قلبه بدفاتره . ولم يكن أعز عليه منها . وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحكم والآداب . فلما رآني سألني عنها . فقلت هي بحالها لم تمسها يد . فسرى عنه، وقال« أشهد أنك ميمون النقيبة، أما سائر الخزائن فيوجد عنها عوض ، وهذه الخزانة هي التي لاعوض عنها.

إن حركة الكتاب الإسلامي في العالم على اختلاف دوافعها قد تأثرت كثيرا بعوامل تاريخية فكثيرا ما كان موقع عاصمة الدولة واستقرارها يشكلان قوة جذب للكتاب حيث أقيمت من أجله المكتبات الشهيرة في العالم الإسلامي ، بينما شهدت فترات تاريخية معينة كيف رحل الكتاب الإسلامي إلى أوروبا . وقد كان مسار هذه الحركة وظروفها ودوافعها موضع دراسة تاريخية تحليلية وتسجيلية جادة من لدن المؤرخين والباحثين والمؤلفين في هذا الباب.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن عاصمة الخلافة العثمانية استانبول بتركيا انشأت جامعة المكتبات التي تشكل مزيجا من نوعين من أنواع المكتبات ، هما:

مكتبات الخلفاء والسلاطين والحكام والأمراء . والمكتبات الخاصة.

وقد أنشأ هذه الجامعة سليمان القانوني (957هـ . 1550م) عاشر سلاطين الدولة العثمانية، الذي اشتهر بهذا الإسم بسبب القوانين الكثيرة التي أصدرها في مجالات العلاقات الخارجية والأنظمة الداخلية، وفي مقدمتها نظام التعليم ومعاملة العلماء.

أما الرجل الذي صمم المبنى وأقامه فهو المهندس المعماري الشهير« سنان» الذي يعتبر من رواد فن العمارة الإسلامية . ويسميه بعضهم « مايكل أنجلو الأتراك» وضع تصميمات معمارية إلى جانب تصميمات المكتبية السليمانية والمنطقة المحيطة بها وللعديد من المنشآت في أنحاء الدولة على عهد السلطان سليم الأول، ومن بعده صاحب السليمانية.

ويعتبر قسم المخطوطات من أهم أقسام المكتبة حيث توجد قاعة المخطوطات ذات الأهمية التاريخية والقيمة المادية والفنية . وقد تم ترتيب عرض المخطوطات بنظام روعي فيه التسلسل الزمني والأقدمية التاريخية، ومن أهمها مجموعة نادرة من نسخ المصحف الشريف مدونة على جلد الغزال ومجلدة تجليدا فنيا نادرا، يعود بعضها إلى زمن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . وبعضها كتب بخط سلاطين آل عثمان الذين كانوا يولون من الخط العربي اهتماما بالغا . ويمكن للمشاهد . على ضوء الترتيب المتبع . أن يتابع مراحل تطور الخط العربي خلال ما يزيد على ألف وثلاثمائة سنة وكذا مراحل تطور المواد المستعملة في التدوين، من جلود وأوراق وأحبار . وإلى جانب نسخ القرآن الكريم ، توجد بقاعة المخطوطات أعداد كبيرة من المخطوطات النادرة في شتى مجالات العلوم الإسلامية والتطبيقية والكونية التي كان للمسلمين فيها باع طويلة في عصور النهضة ويمكن تمييز المعروض من كتب علم الفلك، والتاريخ ، والجغرافيا ، وحياة الحيوان ، والقصص، والطب ، والزراعة ، والأدوية وتاريخ العلوم الطبيعية (وهو العلم الذي سبق به المسلمون حيث لم يستقر كعلم في أروبا ويتقرر رسميا إلا حديثا ، وعلوم اللغة والقرآن والحديث.

فهذا الكم الهائل من الكتب والمخطوطات الموجودة في المكتبة السليمانية باستانبول عاصمة الخلافة العثمانية الإسلامية لقرون عدة ، وملحقاتها الخاصة يدفعنا إلى القول بضرورة التفكير بأسلوب أفضل للاستفادة منها، ضمن الكثير من مصادرنا الثقافية التي لا تزال حبيسة المكتبات والخزانات والأقف والألسن الأجنبية.

فالكتاب، وعاء الفكر والثقافة والمعرفة ، ونتاج حضارات الأمم والمعبر عنها، وبهذا المفهوم يعتبر إحدى مميزات الحضارة الإسلامية.

فقبل الاسلام لم يكن في قريش من يحسن القراءة والكتابة سوى بضعة عشر نفرا . وجاء الإسلام ليفتح للمسلمين آفاقا لا تحد للعلم والتعلم والمعرفة ، امتدت من مجالس كتاب الوحي . ومنهجهاالدقيق في التدوين والحفظ . إلى أرض لله الواسعة، حيث تبنى المسلمون ماكان يلائم رسالتهم من نتاج الحضارات الأمم الأخرى، وارتقوا به ، وطوروه ، واحتضنوه، وتمثلوه، ثم أبدعوا حضارتهم الذاتية وصدق الله العظيم « يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»، « إنما يخشى الله من عباده العلماء»، «اقرأ باسم ربك الذي خلق»

ويقول نبينا وحبيبنا وشفيعنا سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: « الحكمة ضالة المؤمن، اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»

« لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته بالحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»

فوضع استراتيجية ثقافية من خلال روح العمل الجماعي تضمن مشاركتنا ومساهمتنا في مرحلة الفكر العالمي المتساوق مع رسالة الإسلام العالمية ومهمة المسلم في البلاغ المبين.

- الحلقة الثانية -

عناية المغاربة بالعقيدة الأشعرية

■ إعداد: الدكتور عبد الخالق أحمدون

■ وبعد المرابطين ستنشط دعوة المهدي محمد بن تومرت الموحدي (ت 524هـ) ويتحول المذهب الأشعري مذهبا رسميا للدولة ، حيث رجع ابن تومرت إلى المغرب بأشعرية عميقة تلقاها من الغزالي، واتخذها مطية سياسية لتثبيت الحكم الموحدي ، فطعن على أهل المغرب إمرارهم المتشابهات كما جاءت، وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم.

إن أفكار ابن تومرت الأشعرية لاقت رواجا كبيرا ، وظلت مصدرا أشعريا لكثير من الآراء الكلامية يعتمد عليه لفترة زمنية طويلة ، والإشارة هنا إلى عقيدة المرشدة التي حظيت باهتمام واسع من طرف العلماء وطلبة العلم والشراح حتى قيل عنها : إنها مرشدة رشيدة لم يترك المهدي أحسن منها وسيلة ، فقد لقيت صدى كبيرا في الأوساط العلمية في أماكن متفرقة، وتهافت العلماء على شرحها ولما تولى عبد المومن بن علي الموحدي اعتنى بمؤلفات ابن تومرت وجمعها في سفر سماه" أعز ما يطلب " ، وألزم الناس بقراءة أفكار ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي، وأصدر مرسوما في ذلك جاء فيه:" يلزم العامة ومن الديار بقراءة العقيدة التي أولها " أعلم أرشدنا الله وإياك " وحفظها وتفهمها.

وقد كان من نتائج هذه السياسة انتشار كتب المهدي بن تومرت بين الناس ، قراءة وتدريسا وشرحا في مختلف الآفاق المغربية وظهور مدرسة مغربية ذات توجه أشعري في أصول التوحيد والعقيدة ضمت نخبة من العلماء الذين ساهموا بقدر وافر في تنشيطها وترسيخ أسسها وثوابتها كأبي الحسن علي بن محمد بن خليل الإشبيلي (ت 567هـ) وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصغير الأنصاري (ت559هـ) ، وأبي علي عمر بن ملك المرساوي، وأبي عمرو عثمان بن عبد الله القيسي المعروف بالسلالجي (ت 564 هـ) تلميذ الإشبيلي الذي رفع بعض المؤرخين درجته في علم الكلام بالمغرب إلى مرتبة أبي المعالي الجويني في المشرق، ووقع الإطباق على أنه عمدة أهل المغرب في علم الاعتقاد على طريقة أبي الحسن الأشعري، وأنه منقذ أهل فاس من التجسيم. ويقول الأستاذ عبد الله كنون:" هو الذي على يده وقع تحول أهل فاس من المذهب السلفي في العقيدة إلى المذهب الأشعري . تبعا للتيار العام الذي اكتسح المغرب بأكمله في هذا الأمر نتيجة لدعوة ابن تومرت.

وقد اقترنت شهرة السلالجي برسالته المسماة" العقيدة البرهانية" ، لخص فيها عقيدة الأشعرية بطريقة سهلة التناول والحفظ ، فتعاقب عليها كثير من العلماء بالتدريس والشرح كابن الكتاني وابن ناهض والخفاف وابن بزيزة واليفريني الطنجي والعقباني وأحمد بابا التمبكتي وغيرهم ، وظلت محور الدرس في علم العقائد في المدارس والجوامع فترة طويلة من الزمن. وبعد السلالجي دخلت العقيدة الأشعرية طورا جديدا تمثل في ظهور فكر أشعري يتميز بالتوسع في التحليل ومناقشة الجزئيات والوقوف عند النكت ودقائق الأمور، فاسحا المجال لظهور مؤلفات عقدية غزيرة المادة كبيرة الحجم ، وظهور تفنن منهجي وطرق جديدة في عرض الأفكار. وهذا الثراء والتنوع لم يكن في النهاية سوى مظهر من مظاهر التطور والهيمنة التي عرفها المذهب الأشعري في المغرب

وقد تميزت هذه المرحلة الجديدة بسمات تؤكد مدى تغلغل العقيدة الأشعرية في المغرب ، أبرزها ظهور اتجاه جديد لاهتمام بأخطاء العامة في أمور العقيدة الأشعرية وتصحيح ما يقع منها لدى معظمهم في اعتقادهم وأدعيتهم مما يختلط بأفكار معتزلية أو خارجية أو شيعية . وكان من أحسن ما ألف في هذا الموضوع كتاب " لحن العامة في علم الكلام" لابن دهاق، ورسالة " أربعون مسالة في أصول الدين" لمحمد بن محمد بن خليل السكوني ، ناقش فيها بعض الأقوال الجارية على ألسنة العامة مما يشوبها شيء من التجسيم أو الاعتزال . كقولهم : قضى الله ولم يرض ، وسبحان من لا يعلم ما هو إلا هو ، وسبحان من لم يزل معبودا، وسبحان من ليس هو في مكان وليس يخلو من مكان ، ورسالة " لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام" لابنه عمر السكوني(ت717 هـ) صحح فيها كثيرا من الأدعية التي يتلفظ بها العامة دون معرفة مضمونها.

وبعد هذه المرحلة سيدخل علم الكلام الأشعري بالمغرب مرحلة جديدة ابتداء من القرن التاسع الهجري إلى اليوم ، تميزت بالتراكم الكبير في المؤلفات العقدية ، يمكن أن نطلق عليها المرحلة السنوسية نسبة إلى العالم التلمساني الشهير أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ت 895 الذي هيمنت كتبه في العقيدة وشروحها على الساحة الفكرية، وشهدت إقبالا منقطع النظير من قبل طلبة العلم والحفاظ ولشراح والمعلقين ، وطغت على حلقات الدرس ومجالس العلم في الحواضر والبوادي المغربية، وأصبحت معتمدا في أخذ الإجازات على قراءتها، مما دفع البعض إلى اعتبارها مرحلة مستقلة بذاتها في تاريخ المذهب الأشعري بالمغرب.

وقد دشن أبو عبد الله السنوسي هذه المرحلة بمحاربة التقليد وإحياء الاجتهاد في علوم النظر، بعد ظهور الفساد في عقائد الطلبة والفقهاء ، وإعراضهم عن النظر في أدلة التوحيد، وإهمالهم لكثير من مراشدهم ، فوجب على الجميع تحصيل العلوم من طريقها المألوف، وهو الاجتهاد في النظر والتعلم من العلماء،والتزام التعب في الدرس والرحلة في طلب الفوائد.

وقد تمكن السنوسي من تحقيق رسالته ، وتبليغ أفكاره إلى مناطق واسعة من بلاد المغرب وخارجه، وأصبحت كتبه مرجعا أساسيا لكل عالم أو طالب علم أو مشتغل لعلم الكلام نذكر منها: العقيدة الكبرى ، وتسمى " عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد" والعقيدة الصغرى وتسمى أم البراهين أو السنو سية ،، وعقيدة صغرى الصغرى، أو صغيرة الصغرى ، وتسمى بالحفيدة.

وقد لاقت كتب السنو سي رواجا كبيرا في أوساط العلماء وطلبة العلم ، وانبرى الشيوخ لتدريسها وقراءتها وشرحها، خاصة عقيدته الصغرى المسماة أم البراهين التي حظيت بشهرة كبيرة وإعجاب بالغ، حتى قال عنها تلميذه محمد بن عمر الملالي التلمساني:" إنها من أجل العقائد، ولا تعادلها عقيدة من عقائد من تقدم ولا من تأخر" وقال فيها الشاعر المجاهد محمد بن يجبش التازي.(ت921):

لو أصرت عيناك حسن عقيدة
قد صاغها هذا الإمام الأوحد
لرأيت مايجلو القلوب من الصدا
وينيلها نورا حكاه الفرقد

وخلاصة القول، إن المدرسة السنوسية في علم العقيدة بقيت مع التاريخ المرجع الأساس لكل النقاشات الكلامية ، والمناظرات العقائدية ، والنوازل الوقتية والأجوبة المحررة في مسائل التوحيد وأصول الدين إلى وقتنا هذا.

ولعل ذخائر الخزانة المغربية بما تحتويه من تراث عقائدي كبير شاهدة على هيمنة الأفكار السنوسية في علم الكلام الأشعري في الأوساط العلمية والمدارس العتيقة بالحواضر والبوادي المغربية التي مايزال طلبتها يرددون عن ظهر قلب قول ابن عاشر

في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريق الجنيد السالك

ومما يؤكد أن المغاربة ما يزالون متمسكين بثوابتهم الدينية على مستوى النظر والاستدلال في مسائل العقيدة بما أسسه أبو الحسن الأشعري والذي جاءوا من بعده من التلاميذ والأتباع ممن نهلوا من معين فكره ، وتأثروا بآرائه ونظرياته ودافعوا عن العقيدة الأشعرية أمام الخصوم والرافضين ، لكونها عقيدة بسيطة بعيدة عن التجسيم ، خالية من شبهات التشيع والاعتزال ، غير مغرقة في التأويل ، تعكس نقاء الإسلام وصفائه وطهره وسماحته وماكان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم . ويكفي في هذا المقام أن ننقل كلام ابي سالم العياشي (ت 1090) على طوله ، وهو شهادة صدق في حق المغاربة وتعظيمهم للإمام مالك وأبي الحسن الأشعري ، وذلك في معرض حديثه عن شيخه الملا إبراهيم الكوراني ودفاعه عن العقيدة الأشعرية ورد انتقادات المتأخرين من الحنابلة لأتباعها ، حيث قال :" ولقد أحسن شيخنا التوفيق بين كلامهم وكلام الأشعرية ، وبرأهم من كثير مما نسب إليهم متأخروا الأشعرية، كما أن الأشعرية مبرؤون مما نسب إليهم متأخروا الحنابلة من التعطيل والتحريف لكلام الله عن مواضعه، والكل على هدى إن شاء الله، متمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة ، يصدق كلام بعضهم بعضا ويصدقون كلهم بكلام الله ورسوله، وهو مصدقهم وإن اختلفوا في التأويل والتفويض ، فهما طريقان مسلوكان منتهجان منسوبان معا لأهل السنة والجماعة، وإن كثر التفويض عند السلف لعدم احتياجهم إلى ذلك، وبظهور أهل الأهواء المتمسكين بمتشابه الآيات والأخبار الحاملين لها على قبيح آرائهم تعين على أهل السنة والجماعة المناضلين عن الاعتقاد الحق تأويلها على مايوافق الحق ليبطل تمسك المبتدعة بها، ولم يقل أحد من الأشعرية بوجوب التأويل ، وأنه لايجوز الإيمان بالمتشابه على ماهو عليه، بل استحبوا التأويل للغرض المذكور ، ولم يخالف عقائد أهل الحق من المقلدين للأئمة الأربعة إلا طوائف قليلة لا يعبأ بهم ، كما قال الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه " مفيد النعم ، ومبيد النقم"، فقد قال فيه عند ذكره للعلماء في المثل السادس والأربعين ما نصه: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله الحمد في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لايحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافيعة لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم ير مالكي إلا أشعري العقيدة.

قلت : وناهيك بهذه المنقبة العظيمة لإمامنا وأتباعه رضي الله عنه، أقر له بها عظماء مخالفيه من أهل المذاهب، ولأهل مغربنا خاصة ، فلم يعرف في علمائهم وأكابرهم قديما وحديثا من هو رأس وإمام في مذهب المخالفة، وقد استدل بذلك سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي على صحة معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري، قال : ويدل على صحة مذهب الإمام الأشعري كون معتقد أهل الغرب قاطبة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم " لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتي يأتي أمر الله وهو ظاهرون، كما ورد في بعض روايات الحديث : طائفة من أهل المغرب..."

التراث التربوي في الإسلام

■ إعداد الأستاذ: عبد السلام البكاري

■ عرفت الأمة العربية الإسلامية في السنين الأخيرة هجوما على تراثها ونعته ووصفه له بأنه أحد المعوقات في طريق النمو والتقدم العلمي ودعوة إلى الماضي وهي دعوة غربية تهدف إلى عزل الأمة العربية الإسلامية عن جذورها، وفصلها عن حاضرها وطلاق ماضيها، وبالتالي القضاء على هويتها وشخصيتها التاريخية واصالتها، ومن واجب علماء التربية في الإسلام أن يدحضوا الدعوات التي تدعي التناقض بين الأصالة والمعاصرة وإحياء التراث من ناحية وبين التقدم الحضاري من ناحية أخرى، فتراث كل أمة على وجه الأرض هو سيرتها والقوة الدافعة لبناء مستقبلها على ضوء التوازن المتماسك بين الأصالة والمعاصرة ولايمكن لأي كان أن يجد انفصاما بين ماضي الأمم وبين حاضرها، فالماضي هو النبراس الذي يضيء السبل للجيل الحاضر، وجيل المستقبل، وحاضر أي أمة وما فيه من الثوابت والمبادئ والأسس التربوية زاخر بما يحمل من ميراث الماضي الذي تكمن في أعماقه جذور الأصالة، واعلم إن الأمة التي لاماضي لها، لا حاضر ولامستقبل لها.

وإذا كان بعض المؤرخين أطلقوا لفظ التراث بمعناه الواسع وعنوانه على نتاج الحضارة في سائر ميادين النشاط البشري إذ لايخص العلوم العربية الإسلامية فحسب بل يضم إلى جانب ذلك كل ماخلفه السلف من ثمار العقول في مختلف فروع المعرفة وميادين العلوم البشرية.

اما التراث العربي فالمقصود به هو ذلك الحصاد المدون الذي أنتجته الأمة العربية الإسلامية منذ ظهور الإسلام إلى اليوم وإلى ماشاء الله وهو تراث ضمنوه آراءهم ونظرياتهم في مختلف مجالات المعرفة التي كانت لهم بها اهتمامات، وهذا التراث يعني نتاج الناطقين باللغة العربية وممن ينسبون إلى الوطن العربي، والإسلامي لأن المفكرين الذين أنتجوه كانوا متمسكين بالإسلام فيما عالجوه من موضوعات وماقدموه من آراء ونظريات...

ولقد ظل هذا التراث الذي أنتجه الأجداد والآباء فيما أورثناه منهم من مخطوطات التي تناولت البحث في شتى فنون المعرفة المختلفة جسرا لحضارتنا نستمد عبره روحنا وهويتنا وشخصيتنا التي جعلت منه أمة واحدة بالرغم من تباعد الديار وتفاوت الأعصر والأزمنة أمة عربية في اللسان، والعقل والفكر والعادات والتقاليد.

وقد استطاع النزر القليل من هذا التراث المتمثل في المخطوطات أن يصارع عوادي الدهر ويعيش حتى الوقت الحاضر ولكن معظمه لم يعرف سبيله إلى عالم الطباعة والنشر لتعم الفائدة منه، ولا زال بعضه رهين رفوف الخزائن العامة أو الخاصة أو مشتتا بين أيدي العوام، أو مخزونا في صناديق وفي ظروف صعبة قد تكون فريسة للحشرات وأمراض الورق وغذاء للقرضة التي تجد أسهل الطرق إليها.

ومن هذه المخطوطات التراثية مخطوطات تتناول تربية النشء وتبني أسسه التربوية من الصغار، وفي تقديري أن الوقت حان لإحياء هذا الفكر التربوي الجميل المبثوث في كتب التراث العربي الإسلامي وموسوعاته الكبرى، وإخراجه إلى عالم النور وفق منهجية وبرنامج محكم يتم من خلاله طبع المخطوطات النفيسة التي تعنى بالفكر التربوي والاهتمام بالطفل. لأن العالم العربي الإسلامي ومنه المغرب أهمل فيه الفكر التربوي في حين وجد غيره من علماء الغرب أن هذا الفكر يشتمل على الكثير من الإيجابيات والأفكار التي أسهمت وتسهم في حل معضلة الحاضر وما قد يساعد على تطعيم بعض المبادئ والمناهج التربوية في المستقبل.

واعلم أيها الإنسان أن كثيرا من الأسس التربوية والاتجاهات التعليمية التي يظن بعض المفكرين في الغرب المسيحي أنها وليدة العصر الحديث، قد نادى بها علماء الإسلام منذ عشرات القرون خلت ولكن مع الأسف، قد انساق وراء هذا التيار بعض علماء التربية في المشرق العربي كما في الغرب الإسلامي، فاشتغلوا بنقل الكثير من الأسس التربوية والمبادئ الغربية إلى العالم العربي المعاصر بدعوى أنها من أحدث ما جاءت به قرائح علماء الغرب، مع النسيان أو التناسي أننا معاشر العرب أول من وضع هذه المبادىء وبنى هذه الأسس التربوية الحديثة السليمة، ومن شك في ذلك فليقرأ الفكر التربوي:للإمام الشوكاني ت/250هـ، والجاحظ ت:255هـ وابن رشد الحفيد ت/595هـ، والزرنوجي ت/620هـ، وابن جماعة ت/733هـ، وابن خلدون ت/808، وإخوان الصفا.. ليكون الختام بمنظومة سراج طلاب العلوم للفقيه الأديب العربي بن عبد الله المساري ت/1240 هـ وغيرهم من علماء الإسلام الأوائل الذين سبقوا الغرب في وضع الأسس التربوية الحديثة في تربية الطفل، كما يجد هذا التراث المناهج التربوية التي يظن أن للغرب فيها قصب السبق، بل عرفها أجدادنا منذ مئات السنين بالرغم أننا ننكر سبقهم التربوي ونتسابق نحو الغرب نأخذ منه دون وعي في حين كانت تحت أملاكنا كنوز من المخطوطات سرقها من أجدادنا علماء الغرب وهم في غفلة ليعيدوها لنا مرة ثانية على أنها من بنات أفكارهم وعطاء قرائحهم وآراء نظرياتهم. إن أصول تربية النشء الحديثة نبعت من تراثنا في الشرق العربي والغرب الإسلامي في عصور التخلف والظلام الدامس الذي عرفه العرب وعاش في ظلماته، ومايحدث الآن هو تغليف لتراثنا الأصيل في الفكر التربوي، فتربية الطفل الحديثة قد تبدو لبعض المغفلين غربية الشكل والمضمون لكنها إسلامية الجوهر عربية البناء.

إن كثيرا من الأسس والمبادئ والأساليب التي يكثر تناولها في كتب علماء النفس والتربية في الغرب الأوربي لها أصولها العربية الإسلامية، من ذلك على سبيل المثال:

1. فكرة التربية المستديمة.
2. فكرة التربية المستمرة.
3. فكرة طلب العلم من المهد إلى اللحد.
4. فكرة قانون الأثر ومايستتبعه من ثواب وعقاب.

وشروط كل هذه الأسس موجودة في منظومة سراج طلاب العلوم.

ومن أسس التربية العربية الإسلامية جملة من المبادئ هي:

1. مبدأ حق كل مواطن في التعليم ومسؤولية الأمة في ذلك في تراثنا التربوي.
2. مبدأ تكافؤ الفرص الذي تنادي به التربية الحديثة هو مبدأ إسلامي قديم نادى به الإسلام وطبقه علماء الإسلام تطبيقا عمليا.
3. مبدأ مراعاة مستوى الأطفال نضجا وسنا التي يبدأ عنده إرسال الأطفال إلى الكتاب، حددها العبدري في كتابه: مدخل الشرع الشريف، وحددت سن تعليم الصلاة، والفضائل الخلقية.
4. مبدأ التدرج من السهل إلى الصعب في التعلم وهو مبدأ نادى به الإمام الغزالي وابن خلدون وابن سينا وكلهم قالوا بالانتقال من المحسوس إلى المجرد في التعليم، وقالوا بوجوب العناية بدراسة أحوال المتعلمين وجعلها من أسس تعليمهم وتربيتهم.
5. مبدأ إلزامية التعليم التي قد ظن البعض أنها وليدة هذا العصر، في حين أنه نادى بها القابسي في كتابه: أحوال المعلمين والمتعلمين.

ما أحوج مربي العصر اليوم إلى قراءة هذا التراث الأصيل قراءة واعية ليتعرفوا على ماكان عند السلف من فكر تربوي خلاق.

وبعد هذه الجولة التراثية خلال هذا العرض فإنه لاينبغي أن نساير من يقول: إن الجهد العربي الإسلامي في المعرفة التربوية على وجه الخصوص جهد ضائع، بل العكس هو الصحيح فإسهام علمائنا في المعرفة التربوية واضح والإسلام متفتح ولم يقف يوما في وجه التقدم والعلم والشواهد على هذا لاتحصى ويتجلى جزء منها في روح التسامح والتعايش والحث على اكرام الإنسان، وتلك أسس قوية وقويمة تؤكدها التربية المعاصرة.

سئل ابن المهلب يوما: بم نلت مانلت من الجاه والعز والرفعة؟ فقال بالعلم، فقيل له إن غيرك علم أكثر مما علمت، فقال ذلك علم حمل وهذا علم استعمل.

إن الأمة التي لها هذا الرصيد من الفكر التربوي المبدع الخلاق في شتى شؤون المعرفة حري بأبنائها أن يهتموا بتراثها وأن يحللوا محتواه ويحققوا مضامينه وينشروا أصوله، ومن واجب رجال التربية أن يعودوا إلى الفكر التربوي في تراث الأمة لأسباب منها:

- أن الإحاطة بالفكر التربوي التراثي يساعد على تتبع تطور هذا الفكر.
- أن استكمال هذا الجانب من التاريخ الحضاري يتيح الفرصة لدراسات تربوية أشمل وأوسع وأعمق بقصد اختيار مواقف النجاح ومواقف الفشل ومدى التطابق بين ما كان من مستوى النظرية ومستوى التطبيق.

وخلاصة القول إن هناك كثيرا من القضايا لاتزال تتعايش معنا حتى الآن فإعداد المواطن الحر في مجتمع حر، وعلاقة الأمة بالتربية، وتوظيف التربية في إحداث تغييرات اجتماعية وتعليم الفتاة في الوسط القروي وتعليم الكبار وأخلاقيات المعلم والمتعلم كل هذه عوامل تعد من الإشكاليات التربوية المستمرة بالنسبة لتاريخ التربية بالوطن العربي من المحيط إلى الخليج. إن جملة من هذه القضايا التربوية تكمن وتتموقع خلال منظومة سراج طلاب العلوم للفقيه الأديب العربي بن عبد الله المساري رحمه الله.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1054
السنة 36
الجمعة 15 ذو الحجة 1424 هـ
الموافق 6 فبراير 2004 م
المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس
مدير النشر:
إدريس كرم
رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني
التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي
الثمن:3 دراهم
الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348
عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma
الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط
التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب
ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق
الرابطة
العدد: 1054 الجمعة 15 ذو الحجة 1424 هـ . الموافق 6 فبراير 2004م

دخول المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي

- الحلقة الأخيرة-

■ أبو عمر الطلمنكي: وهو مفكر أندلسي عرف شهرة كبيرة في علم القراءات، وصنف ضمن المكثرين في هذا العلم: إلا أنه ألف في علم التوحيد مؤلفات لم تصلنا، وكان من بينها كتاب في مجلدين سماه "الوصول إلى معرفة الأصول" وهو كتاب لم يصلنا وكل ما وصلنا منه بعض الشذرات نقلها عنه الإمام الذهبي. وعلى الرغم من أن أحدا من القدامى والمحدثين لم يشر إلى أشعرية هذا الرجل ما عدا ما اتهم به في زمنه من طرف طائفة من فقهاء الأندلس المتألبين عليه أنه يمثل مذهبا في العقائد غريبا على خلاف السنة وأشبه ما يكون بمذهب الحرورية، وقد حوكم الطلمنكي بهذه التهمة لكن القاضي ومشاوريه أفتوا بإسقاط شهادة المتألبين، وببطلان هذه التهمة. ورغم ذلك كله فإن أحدا من أصحاب التراجم لم يصنفه ضمن أشاعرة الأندلس، لكن بعض الشذرات المنقولة عنه لايقوى أحد على إنكار طابعها الأشعري.

فالطلمنكي يستعمل التأويل بصدد بعض التصورات العقدية، كوصف الله بالمكان، وعلاقة الصفات بالذات، والجسمية... إلخ ومن ذلك أنه يقول "أجمع المسلمون من أهل السنة على معنى قوله "وهو معكم أينما كنتم" أو نحو ذلك من القرآن أنه علمه" فالله إذن يوجد في كل مكان لكن بعلمه لا بذاته، وهذا تأويل على طريقة الأشاعرة، وهم الذين أسماهم الطلمنكي في النص بالمسلمين من أهل السنة.

أما بصدد تشبيه الذات الإلهية، وتسمية الله بأسماء يشترك فيها مع مخلوقاته فيقول الطلمنكي: "فقد قال قوم من المعتزلة، والجهمية: لا يجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه، وأثبتوها لخلقه. فإذا سئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه. قلنا هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه لايحصل بالتسمية، وإنما تشتبه الأشياء بأنفسها وبهيئاتها فيه كالبياض بالبياض، والسواد بالسواد، والطويل بالطويل والقصير بالقصير. ولو كانت الأسماء توجب اشتباها، لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها، وعموم تسمية الأشياء به. فنسألهم : أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: هل يلزمكم من دعواكم أن يكون مشتبها للموجودين.

وإن قالوا موجود لا يوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات . قلنا فكذلك هو حي عالم ، قادر ، مريد، سميع ، بصير ، متكلم . يعني ولايلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات..

والحقيقة أن ما يمكن تسجيله من ملاحظات على هذا النص هو طابعه السجالي، ومنطقه الجدلي ، فهو يرد على دعاوى خصومه المعتزلة ، والجهمية بأدلة جدلية عقلية يسعى من خلالها إلى إبراز أن موقفهم من نفي الصفات عن الذات الإلهية موقف متهافت وغير مقبول لأن إثبات الصفات لله لا يوجب بأي حال من الأحوال اشتراكه مع مخلوقاته في هذه الصفات ، وبالتالي تشبيهه وتجسيمه . فإذا كان الجهمية ينفون عن الله جميع الصفات التي يشترك فيها مع مخلوقاته من سمع وبصر وكلام وحياة .. إلخ فإنهم يثبتون له فقط الصفات التي لا يتصف بها البشر ولا يشتركون فيها معه ، كصفتي : الفعل والخلق . لأن الله عند الجهمية هو الفاعل الأوحد والخالق الوحيد ، وأن الإنسان ما هو إلا كالريشة في مهب الرياح يفعل به الفعل الإلهي مايشاء.

والطلمنكي يرد على هذا التصور بحجة أنه لو كان الاشتراك في الصفات والأسماء يوجب الاشتباه لكانت جميع الموجودات مشتبهة ومختلطة على إدراكنا وأفهامنا لأنها جميعها تشترك في كونها أشياء وفي كونها موجودات.

ويستطرد الطلمنكي في هذا الإلزام المنطقي في أنه لو كانت صفة الوجود للذات الإلهية من الصفات التي يشترك فيها الله مع مخلوقاته، والتي توجب اشتباها لكان تبعا لذلك وجوب نفي صفة الوجود عن الله وذلك مستحيل، فإن كان في صفة الوجود استثناء فينبغي أن يكون عاما على جميع الصفات. وبهذا يكون الطلمنكي قد ألزم خصومه بهذا الإلزام المنطقي الذي يفيد بأن الصفات الإلهية لاتستوجب اشتباها ولاتشبيها للذات الإلهية.

صحيح أننا نلمس في هذا النص خلطا بين تصور الجهمية، وتصور المعتزلة لعلاقة الذات الإلهية بصفاتها دونما تمييز بين التصورين. والواقع أنه إن كانت الجهمية تنفي عن الذات الإلهية جميع صفاتها التي تشترك فيها مع مخلوقاتها، فإن المعتزلة قاموا بإدماج هذه الصفات في الذات واعتبروها شيئا واحدا، لكن جرت عادة القدماء على تصنيف المعتزلة ضمن نفاة الصفات.

إلا أن مايهمنا بالدرجة الأولى من هذا النص هو المنطلق الذي يصدر عنه في الجدال مع الخصوم ذلك أنه منطلق يكشف بوضوح أشعرية الطلمنكي، ويجعله ضمن أوائل أشاعرة الغرب الإسلامي ومن أوائل من ردد هذا المذهب في الأندلس، ودافع عنه، وعمل على نشر مبادئه ومعتقداته، وبثها في حقل الثقافة العربية الإسلامية هناك.

والواقع أنه حينما يتعلق الأمر بأبي عمر الطلمنكي فإنه يتعلق برجل ظل انتماؤه إلى الأشعرية خفيا ومتشحا بوشاح اهتمامات أخرى، وبخاصة اهتماماته بمجال القراءات الذي حجب عنا جانبا مهما من حياته الفكرية وهو الجانب الكلامي الأشعري.

وإذا كان هذا هو الوضع مع الطلمنكي فإن مفكرا أندلسيا معاصرا له، اشتهر بميله الأشعري، وبتوجهاته المتميزة في هذا المذهب، وبمجموعة من رسائله العقدية، وكتاباته في هذا المجال منها ماوصلنا، ومنها ما لم يصلنا ويتعلق الأمر بأبي الوليد الباجي (ت474هـ).

ونحن نعتقد أن الباجي لايمكن الشك في أشعريته فقد كان تولى الدفاع عن أبي بكر الباقلاني، وبخاصة عن بعض آرائه الكلامية. فقام بدفع الشبه عنه، والتناقضات التي ألزمه بها خصومه بأن التمس له العذر أحيانا وبأن برر كلامه أحيانا أخرى، عن طريق التأويل الذي يتولى دفع الشطط عنه في الحكم عليه. من ذلك أنه لما كان الباقلاني قد أخذ موقفا متميزا من طريان الأعراض على الجواهر جعله نشازا بين مواقف الأشاعرة الآخرين فإننا نجد الباجي يؤول موقفه هذا بقوله إن الباقلاني "قصد إلى تبيين صفات النفس، ومن صفات نفس الجوهر قبوله للأعراض".

بل نجده في بعض الأحيان يظهر أشعريا متميزا داخل المذهب الأشعري ينفرد ببعض الآراء والمواقف التي تجعله يصنف ضمن كبار الأشاعرة. وعلى سبيل المثال فإن الأشاعرة عندما يتكلمون على أسبقية الاعتقاد على العمل تختلف آراؤهم فمنهم من يقول إن أول الواجبات هو النظر، ومنهم من يرى أنه القصد إلى النظر، ومنهم من يرى أنه جزء من النظر، ومنهم من يقول إنه معرفة الله، ومنهم من يقول إن التقليد... إلخ إلا أن أبا الوليد الباجي يتميز عن كل هذه الآراء بموقفه الذي يرى أن أول الواجبات هو الإيمان بالله. ومما يزيد في تأكيد هذا هو أن أمير المسلمين المرابطي أبا الحسن علي بن يوسف بن تاشفين كان قد وجه سؤالا إلي أبي الوليد بن رشد الجد (ت 520هـ)يسأله فيه عن الحكم في آراء الأشاعرة المشهورين كأبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفرايني، وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك، وأبي المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي. فكان تصنيف أبي الوليد الباجي مع أشهر الأشاعرة ومن مثل هذا المذهب في المشرق.

وحتى يتسنى لنا الاطلاع على آراء الباجي الكلامية الأشعرية سنعمل على اجتثاث بعضها من بعض ماوصلنا من رسائله وكتبه.

ولعل أول مايسترعي القارئ وهو بصدد تأمل رسالة الحدود التي ألفها الباجي، وبخاصة الحدود الكلامية فإنه لاشك واجد طابعا أشعريا واضحا يهيمن على هذه الحدود.

فبصدد مفهوم العلم النظري يقول الباجي "هو ما احتاج إلى تقدم النظر، والاستدلال ووقع عقيبه، بغير فاصل. قولنا: نظري يقتضي اختصاصه بالنظر والاستدلال، وأنه لايوجد إلا به، وفي ذلك احتراز من علم البارئ تبارك وتعالى فإنه لايحتاج إلى نظر واستدلال. وقولنا: ووقع عقيبه بغير فصل، على قول القاضي أبي بكر في قوله : إن العلم النظري إنما يقع بعد كمال النظر والاستدلال".

فلا حاجة إذن إلى التعليق على هذا النص فهو يتماشى مع التعريف الذي يقدمه مجموع الأشاعرة عن العلم النظري، لاسيما وأن النص يستشهد بقول أحد أعلام هذا المذهب في هذه الفترة وهو أبو بكر الباقلاني، وتزداد أشعرية الباجي اتضاحا حينما نراه يؤكد على قيمة علم الكلام بين مختلف العلوم فيقول "إن أفضل العلوم علم الشريعة، وأفضل ذلك أن يوفق أن يجود قراءة القرآن ويحفظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويعرف صحيحه من سقيمه، ثم يقرأ أصول الفقه، فيتفقه في الكتاب والسنة ثم يقرأ كلام الفقهاء وماانقل من المسائل من العلماء ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج فهذه هي الغاية القصوى، والدرجة العليا" إلا أنه وإن كان يعطي لعلم الكلام هذه الحظوة، وينزله هذه المنزلة فإنه في المقابل يتخوف تخوفا واضحا من الاطلاع على كتب الفلسفة والمنطق، فهو ينصح ولديه ويحذرهما من قراءة هذه الكتب لأنها كتب. في نظره. مبنية على الكفر والإلحاد، والبعد عن الشريعة. لكنه يعود فيؤكد لهما أنه "لو كنت أعلم أنكما تبلغان منزلة المميز، والمعرفة، والقوة على النظر لحضتكما على قراءته وأمرتكما بمطالعته، لتحققا ضعف المعتقد له، وركاكة المغتر به".

واضح وجلي إذن أن الباجي يحض على الاشتغال بعلم الكلام، والجدل وينهى عن الاشتغال بكتب الفلسفة، والمنطق الأرسطي. وهذا الاتجاه هو الذي سار فيه متقدمو الأشاعرة حينما كان علم الكلام عندهم يسير بمحاذاة مع طريقة أهل التسليم والتفويض في رفض المنطق الأرسطي والفلسفة، وهذا تأكيد آخر على أشعرية الباجي.

أما حين يتعلق الأمر بمسألة الإمامة فإن الباجي يردد موقف الأشاعرة وذلك بضرورة طاعة الخليفة وملازمة الجماعة، ولو كان الخليفة ظالما طاغيا، لأن ظلمه أهون على الناس من الفتنة، فقد عبر الباجي عن ذلك من خلال نصحه لولديه قائلا: "عليكما بطاعة من ولاه الله أمركما، لامعصية فيه لله تعالى، فإن طاعته من أفضل ماتتمسكان به، وتعتصمان به ممن دعاكما. وإياكما والتعريض للخلاف لهم، والقيام عليهم فإن هذا فيه العطب العاجل، والخزي الآجل"ويزيد الباجي في هذه النصيحة ويقول "فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر أرفأ بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة. فإن رابكما أمر ممن ولي عليكما، أو وصلت منه إذاية إليكما فاصبرا، وانقبضا، وتحيلا، لصرف ذلك عنكما بالاستنزال والاحتمال والإجمال. وغلا فاخرجا عن بلده إلى أن تصلح لكما جهته، وتعود إلى الإحسان إليكما نيته".

وبالجملة فإن أبا الوليد الباجي هو المفكر الوحيد في هذه الفترة الذي وصلتنا بعض عطاءاته في هذا المجال، والذي ظلت آراؤه العقدية تتردد في كتب العقائد بالغرب الإسلامي شاهدة على إمامية هذا الرجل في هذا المذهب، وعلى باعه الواسع، وشخصيته المتميزة. أجل فقد كان في قرارة نفسه يشعر بحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه وعاتق أترابه ممن تولوا مهمة إدخال العقيدة الأشعرية إلى الغرب الإسلامي، وذلك بوعيه بأن إدخال هذا المذهب الجديدلابد أن يواكبه ترسيخ لأدب المناظرة والجدل، وتثبيت لأخلاق النقاش والمحاجة، فكان عليه أن يضع "منهاجا في ترتيب الحجاج" يدشن به عصرا جديدا من الحوار الكلامي، والمناظرة العقدية، في وقت كان فيه أهل عصره "عن سبيل المناظرة ناكبين" وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لايبلغهم علمه، ولم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لايدري تحقيقه والقاصد إلى نهج لايهتدي طريقه" والحق أن هذه الفترة التي عرفت هؤلاء المدشنين الأوائل للفكر الأشعري بالغرب الإسلامي، كانت فترة انتقالية عرفها الغرب الإسلامي شهدت صراعا محتدما بين مفكري أهل التسليم والتفويض ومفكري الأشاعرة، وسيتبلور هذا الصراع أكثر في كنف الدولة المرابطية. فكيف كان موقع الدولة المرابطية من هذا الصراع؟ وماعلاقتها بالفكر الأشعري؟